الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون ـ تيارت ـ
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية
المسار: تاريخ

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ المغرب الإسلامي وحضارته

الموسومة بـ:

تطور العلاقة بين الفقه والتصوف في المغرب الإسلامي ق 06 ـ 09هـ / 12ـ15م

إعداد الطلبة:

- شبشوب محمد
- شهات عبد الحميد
- شاكري العربي

إشراف الأستاذ:

- ✓ د. عبد الرحمن كريب

أعضاء اللجنة:

أ. حاج عيسى إلياس .....رئيسا.
د. عبد الرحمن كريب.....مشرفا ومقرارا.
أ. طويلب عبد القادر ..... مناقشا.

السنة الجامعية
1438-1439هـ/2017-2018م

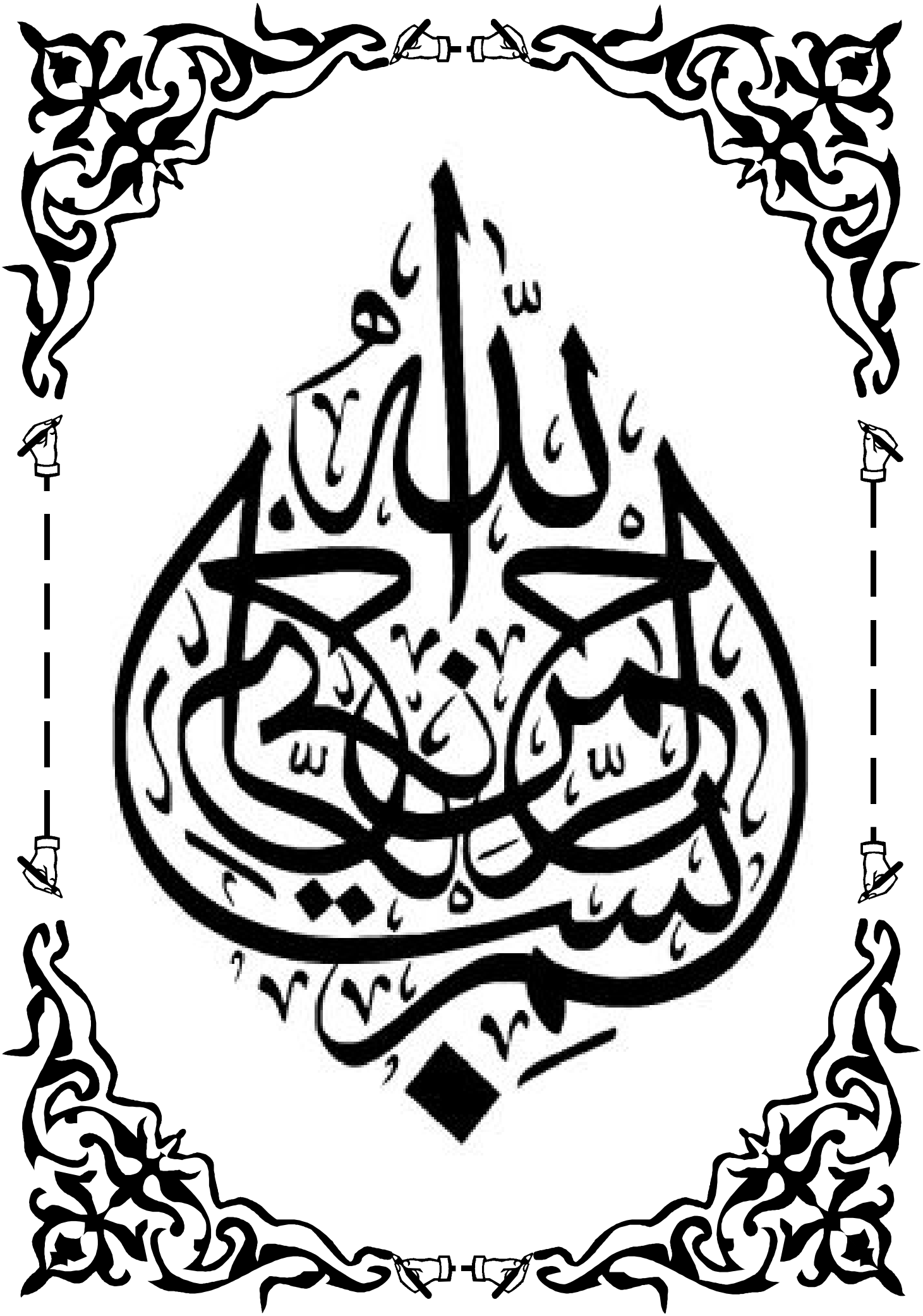

شكر وعرفان

الشكر والحمد اولا وأخرا لله سبحانه وتعالى
لا يسعني في هذا المقام إلا ان اتقدم بالشكر الجزيل الى
استاذي الفاضل المشرف الذي اعانني على انجاز هذا
البحث الأستاذ كريب عبد الرحمن ..فاشكره على صبره
الجميل فكل التقدير لك والاحترام ..

ولا يفوتني الى ان اشكر الاساتذة اعضاء لجنة المناقشة.

إهداء

أشكر الله عزوجل واحمده ان وفقني لاتمام هذا العمل وانار لي طريق العلم والمعرفة واصلي واسلم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

اهدي هذا العمل وثمرة جهدي إلى الوالدين الكريمين عرفانا مني بفضلهما عليا وتقديرا لمعناتهم من اجلي ... اسئل الله لهما دوام الصحة والعافية.

إلى كل إخوتي وأخواتي وأفراد العائلة الكريمة من قريب أو بعيد
دون أن ننسى الأصدقاء وخاصة "عبد الله"
واخص بالذكر الكتاكيت "تسنيم" "صولة" "حمودة" "سمسومة" "اسحاق" "رتاج" "هديل"

اضافة إلى زملائي الذين ساعدوني في انجاز العمل المتواضع وخاصة صديقي "عبد الحميد" وزميلتي "شيخ وداد"

محمد

إهداء

أهدي هذا العمل المواتضع الى روح الوالدة الكريمة التي شاء المولى عزوجل
أن تفارق دار الفناء قبل ان تشاركنا هذه الفرحة فنسأل الله عزوجل أن
يتغمدها في فسيح جناته ويجعل قبرها روضة من رياض الجنة.
والى الوالد الكريم أطال الله في عمره والبسه تاج الصحة والعافية.
والى اخوتي وأخواتي الذين شاركوني مساري الدراسي بجميع مراحله.
والى كل ابنائهم دون استثناء
والى عامة أفراد العائلة والاصدقاء "الحسين" و"عبد القادر" و"عبد الغاني"
و"عبد الفتاح" و"إبراهيم" و"جمال" و"عمر"
والى كل من ساهم وساعدنا في انجاز هذا العمل.

عبد الحميد

إهداء

اهدي ثمرة هذا العمل إلى والدتي "أم الخير" رحمها الله وأرفقها بالشهداء والصالحين.

والى والدي "الطاهر" أطال الله في عمره ورزقه الصحة والعافية.

والى كافة إخوتي وأخواتي وأفراد العائلة كبيرا وصغيرا.

والى أصدقائي "عبد القادر" و"الحسين" و"العربي" و"رابح".

والى كل من شاركنا في إنجاز هذا العمل المتواضع.

العربي

قائمة المختصرات

ص	الصفحة
تح	تحقيق
د ـ ب	دون بلد
د – ط	دون طبعة
د – ت	دون تاريخ
هـ	هجري
ص،ص	من الصفحة الى الصفحة
ج	جزء
ع	العدد
تع	تعليق
ق	القرن
م	ميلادي
تر	ترجمة

مقدمة

مقدمة:

عرف المغرب الاسلامي تطورا واسعا في الحياة الدينية وانتشارا كبيرا للمذاهب والنحل منذ الفتح الاسلامي، وقد كان من ابرز مظاهر الحياة الدينية ظهور علم الفقه الذي كان يعتبر من اهم اركان الممارسة الدينية فهو مصدر التشريعات من الكتاب والسنة،وبه يتم تنظيم حياة الافراد والتعاملات بينهم، وقد كان حملته يعتبرون قادة الاصلاح في المجتمع ،فنالو المكانة والاحترام لدى العامة والحكام.

ولم يكن المغرب بعيدا عن التطورات الحاصلة في الحضارة الاسلامية كظهور الطوائف الدينية والحركات الفقهية، ومن ابرز هذه الفرق نذكر المتصوفة الذين استطاعوا وضع موطا قدم لهم في المنطقة لمجموعة من الاسباب تباينت بين طبيعة المجتمع المغاربي واحتضانه المتواصل للافكار الدينية الجديدة كم حدث سابقا مع الخوارج والشيعة.

عرف التصوف منذ القرن السادس هجري قفزة كبرى في مجال الانتشار لانه باسلوبه وقيمه اصبح يمثل جزءا كبيرا في حياة المسلمين التي كانت اشبه بالجحيم، وكل ذلك في ظل سكوت الفقهاء ودعمهم للسلطة في قراراتها التي كانت لاتخدم مصالح العامة ولاتراعي متطلباتهم وظروفهم المعيشية.

وفي خضم هذه التطورات كان لابد من وقوع تصادم بين الفقه والتصوف نظرا لمجموعة من الاسباب والعوامل التي تباينت على حسب فترات زمنية مختلفة وتغيرات سياسية مختلفة في بيت الحكم، اضافة الى التباين في الافكار والاسس بين الفقه والتصوف، ومن هنا جاء اختيارنا لموضوع **تطور العلاقة بين الفقه والتصوف في المغرب الاسلامي**، والذي كان ولازال موضوعا مترامي الأبعاد متشابكا في ثناياه بالرغم من سهولته أي أنه السهل الممتنع الذي يتطلب البحث والجهد في تجميع المعلومات والسهل في فهم خباياه التي أدت الى هذه الوضعية بين الطرفين.

ان اهمية الموضوع تكمن في حساسيته وخصوصيته التي تكتسيها ،فهو يلقي الضوء على موضوع كان له الأثر الهام في تكوين الشخصية المغاربية خاصة في المجال الديني فهمو يتطلب دقة في البحث عن احداثه وحقائقه في صفحات الكتب.

وبالحديث عن اسباب اختيارنا للموضوع يمكننا التحدث عن الاسباب الذاتية والمتمثلة في فضول البحث ولاطلاع عن هذا الموضوع وكان موضوع الفقه والتصوف في مضمون عنوانه يثير فينا الرغبة والاثارة للتقصي عنه نظرا لاهميته الشديدة وقوة تأثيره سواء الزمن القديم او الحديث الذي مثل دافعا قويا في اختياره.

اما الاسباب الموضوعية فالدراسات التي تناولت الموضوع لم تسهب فيه ومرد ذلك الى الطبيعة الخاصة للموضوع ،فقارئه قد يرى بان الحديث عنه فيه اثارة لنوع من الفتنة ربما لكن الواقع والمنطق يفرض علينا الخوض في غمار هذا البحث ومقابلة صعوباته وتحدياته لإيصالنا ألى الحقائق الكاملة عنه وتقريب الصورة للقارئ والباحث من بعدناحتى لاتختلط عليه المفاهيم والافكار المتعلقة بالموضوع ،في ظل صعوبة تجميع المعلومات وتشابكها في الكتابات التاريخية والدينية.

لقد كانت الاشكالية الرئيسية لموضوعنا: كيف تطورت العلاقة بين الفقه والتصوف في بلاد المغرب الاسلامي ق 06-09هـ / 12-15م؟

لتتفرع عن هذه الاشكالية مجموعة من التساؤلات:

ما مفهوم الفقه والتصوف ؟

ماهي أبرز مراحل ظهورهما وتطورهما في المنطقة ؟وماهي العوامل التي ساهمت في تحديد طبيعة العلاقة ونتائجها؟

ولم تبلغنا دراسات تناولت هذا الموضوع المتمثل في تطور العلاقة بين الفقه والتصوف في بلاد المغرب الاسلامي القرن السادس هجري التاسع هجري بشكل واضح وصريح ،فجل الدراسات لم تخرج عن كونها مباحث فرعية في مجموعة من الدراسات المستقلة بعنوانها والتي عالجت إما التصوف أو الفقه، ولم يحدث ذلك لا في الدراسات القديمة أو الحديثة بالرغم من أهمية الموضوع في الحياة الدينية للمجتمعات المغاربية على إختلافها،إضافة الى الشح في المادة المعرفية وندرة الكتابات التاريخية ، حول الموضوع والتي إن وجدت تتطلب تعمقا كبيرا دراستها وإستنباط النتائج منها وإعادة صياغتها لتتماشى مع الموضوع.

وقد إعتمدنا في دراستنا للموضوع على المنهج التاريخي التحليلي الممتزج بالوصف أحيانا والذي تضمن سرد وقائع تاريخية وتحليلها على اسس علمية ومنهجية معتمدين على براهين وأدلة إستخرجناها من المصادر والمراجع للوصول الى أفكار موضوعنا وترتيبها وفق فترات زمنية متتابعة ومرتبة .

ولدراسة موضوعنا ومعالجته قمنا بوضع خطة بحث كانت كاالأتي:مقدمة والتي تناولت تمهيد للموضوع والتعريف به إضافة الى الإشارة الى اسباب ودوافع إختيارنا له،تلاه طرحنا للإشكال الرئيسي وتساؤلات فرعية التي نتجت عنه ،مع ذكر المنهج المتبع وإشارة الى مجموعة من أهم المصادر والمراجع التي إعتمدنا عليها في دراستنا ، كما قمنا بشرح مبسط لخطتنا :

الفصل الأول: وعنوناه بالفقه والتصوف في بلاد المغرب الإسلامي والذي تضمن مبحثين، فالمبحث الأول تحدثنا فيه عن الفقه، وإندرج تحته مطلبين الأول قمنا فيه بتعريف الفقه والمطلب الثاني ذكرنا فيه أهم المذاهب الفقهية التي كانت تسود المنطقة خلال فترة الدراسة، وهي المذهب المالكي، الظاهري، والمذهب الإباضي، أما المبحث الثاني كان عنوانه ماهية التصوف وظهوره في بلاد المغرب وتضمن مطلبين الأول قمنا بتعريف التصوف وأنواعه،أما المطلب الثاني درسنا فيه ظهور التصوف في المنطقة .

الفصل الثاني:كان عنوانه الصراع الفقهي الصوفي بين الأسباب والمظاهر والنتائج في بلاد المغرب وكان مقسما الى ثلاثة مباحث فالأول تناولنا فيه عوامل وأسباب الصراع والتي كانت سياسية، دينية،إجتماعية،في ثلاثة مطالب،أما المبحث الثاني تطرقنا فيه الى مظاهر الصراع من فكرية وسياسية ،أما المبحث الثالث كان عنوانه نتائج الصراع وكانت فيه ثلاث مطالب ، الأول تحدثنا فيه عن النتائج السياسية ، أما المطلب الثاني فتناول النتائج الدينية ، أما المطلب الثالث فقد تناول النتائج الإجتماعية.

الفصل الثالث: جاء بعنوان التوافق الفقهي الصوفي في بلاد المغرب الإسلامي،إشتمل على ثلاثة مباحث فكان المبحث الأول بعنوان عوامل وأسباب التوافق الفقهي الصوفي وإنطوى على ثلاثة مطالب ،الأول بعنوان التقارب الفكري ،أما الثاني الأوضاع السياسية، أماالثالث بعنوان الأوضاع الإجتماعية والأهداف الدينية، أما المبحث الثاني فعنوانه مظاهر وصور التقارب الفقهي الصوفي

وعرضنا فيه ثلاثة مطالب ،الأول بعنوان حركة التأليف الفقهية الصوفية، والمطلب الثاني ناقشنا فيه تداخل المظاهر والممارسات الدينية بين الفئتين والمطلب الثالث تحدث عن ظهور شخصية الفقيه الصوفي أما المبحث الثالث جاء فيه نتائج وإنعكاسات التقارب وإشتمل على ثلاثة مطالب فالأول تحدثنا فيه عن تأثير هذا التوافق على الجانب الإجتماعي والفكري للمجتمع المغاربي، والمطلب الثاني تحدث عن الجانب الحضاري أما المطلب الثالث فتناولنا فيه التأثيرات على المستوى العمراني.

الخاتمة: والتي تضمنت جملة من النتائج والإستنتاجات التي توصلنا إليها بعد دراسة هذا الموضوع وتم ذكرها وفق عناصر متسلسلة على حسب خطوات الدراسة .

ومن أهم المصادر التي إعتمدنا عليها في دراسة موضوعنا هذا نذكر منها:

كتاب الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ،للغبريني أبوالعباس أحمد بن أحمد(ت 748هـ) ،ويعد من أهم الكتب التي تناولت الفقه المالكي والتصوف حيث أفادنا في معرفة مكانة المذهب المالكي والظاهري في بلاد المغرب ، وأيضا في العوامل التي ساهمت في تقريب وجهات الرأي بين التصوف والفقه وتحسين علاقتهما.

وكتاب **احياء علوم الدين** لصاحبه أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت505ه)،والذي يعتبر واحد من أهم المصادر قديما وفي الفترة الحديثة، حيث استعنا فيه للاطلاع عن أسباب الصراع بين الفقهاء والمتصوفة التحدث عنها بشكل كبير ،وأيضا أسباب التقارب بينهما بعد الأختلاف .

وكتاب **شفاء السائل لتهذيب المسائل** لصاحبه ابو زيدعبد الرحمن ابن خلدون (ت780ه) والذي يعد من أهم الكتب التي تناولت علم التصوف حيث أخذنا منه أنواع التصوف ودخوله وإنتشاره في بلاد المغرب إضافة الى تطرقه الى الصراع والاسباب التي ادت اليه في المنطقة على اختلافها.

ويضاف الى تلك المصادر مجموعة من بعض المراجع المتخصصة والتي أفادتنا في موضوعنا ويأتي في مقدمتها:

كتاب التصوف في الجزائر خلال القرنين السادس والسابع هجري الثاني عشر والثالث عشر ميلادي وأطروحت الدكتورة الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع

هجري، الرابع عشر والخامس عشر للميلاد، للطاهر بونابي والتي شكلت العمود الرئيسي في دراستنا نظر لقيمة المادة التاريخية التي يحتوي عليها كتابه ومذكرته ، وقد أفادتنا في كامل بحثنا عامة وفي العلاقات بين الفقهاء والمتصوفة في شتي المجالات الدينية، الإجتماعية،وحتى الثقافية والسياسية.

كتاب الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والاندلس، محمد بركات البيلي والذي ساعدنا في ضبط مفاهيم التصوف وظهوره ببلاد المغرب الاسلامي.

وكتاب اصول الفقه الاسلامي محمد الزحيلي والذي ساعدنا في تحديد مفهوم الفقه واهم المذاهب الفقهية التي كانت التي كانت سائدة في المنطقة، اضافة الى طبيعة العلاقات بين الفقه والفرق الدينية الاخرى التي ظهرت في بلاد المغرب ورد الفعل اتجاهها.

لم يكن موضوع دراستنا خاليا من الصعوبات والعراقيل الاكاديمة التي تمثلت فيمايلي:

النقص الكبير في المادة العلمية المتخصصة في تاريخ المغرب الاوسط، والتي تتحدث عن علاقة الفقه في التصوف.

صعوبة تجميع المعلومات بسبب تناثرها في صفحات الكتب وعدم بروزها بشكل واضح مما يصعب عملية تجميعها واستخدامها في دراستنا.

عدم تمكننا من الأحاطة بمجموعة من اهم الكتب المتعلقة بموضوع الدراسة ككتاب بوداود عبيد المتخصص في تاريخ الحركة الصوفية في بلاد المغرب.

وفي الختام نرجو من الله عز وجل ان يكون عملنا المتواضع قد ارتقى الى مستوى البحث الاكاديمي، واستطعنا فيه ولو بقدر معلوم اعطاء صورة موضحة عن طبيعة العلاقات والتصوف ولو بالشيئ اليسير.

الفصل الأول

الفقه والتصوف في بلاد المغرب الإسلامي

المبحث الأول:ماهية الفقه وأنواعه في بلاد المغرب الإسلامي

المطلب الأول:تعريف الفقه

لغة: يعني الفهم[1]،مصداقاً لقوله تعالى:﴿ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ ﴾[2] وقوله صلى الله عليه وسلم:**"ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين"**[3].

والفقه هو العلم بالشيء والفهم له، سواء أكان الشيء دقيقاً أم جلياً،ويقال فقه الرجل(بكسر القاف)يفقه (بفتحها) وفقه يفقه(بضم القاف فيهما)،فقها وفقاهة صار فقيها،وفقه (بكسر القاف وضمّها):إذا علم وفهم،سواء أصار الفقه له سجية أم لا[4].

والفقه أيضاً هو العلم بالشيء والفهم له[5]،ومن هذا قوله تعالى:"ولهم قلوب لايفقهون بها"،ويقال تقفه الرجل تفقهاً(بالتشديد) أي تعاطى الفقه ومنه قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[6] أي ليكونوا علماء به.[7]

---

[1]- محمد الزحيلي،أصول الفقه الإسلامي،المطبعة الجديدة،دمشق،د-ط،1395ه/1396ه،ص13.

[2]- سورة طه،الآية:28.

[3]- رواه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجة.

[4]- إبراهيم السلقيني،محاضرات في الفقه الإسلامي،مطبعة الإحسان،دمشق،د-ط،1397ه-1368ه،ص07.

[5]- عبد الرحمن الصابوني،محاضرات في المدخل لعلم الفقه،مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية،جامعة حلب ،د-ط،1964م-1965م،ص09.

[6]- سورة التوبة، الآية:123.

[7]- إبراهيم السلقيني،المرجع السابق،ص07.

كما يقال :فقّه غيره (بالتشديد) تفقيها إذا علّمه،ومنه دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس:"اللهم فقهه في الدين،وعلمه التأويل"[1] أي فهمه تأويله وعلّمه معناه[2].

ويقال رجل فقيه أي عالم،كما يطلق الفقه على الفطنة[3]،ثم غلب لفظ الفقه على العلوم كالدين والشريعة،وذلك لما له من مكانة رفيعة وفضل شريف على باقي أنواع العلوم،فجعله العرف –أول الأمر- خاصّاً بعلم الشريعة ،ثم قصّره على علم الفروع منها خاصة[4].

إصطلاحاً:و يعني :(العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية)[5] ،المراد من العلم هنا معناه عند اللغويين والمناطقة وهو:الإدراك مطلقاً،سواء أكان تصوراً أم تصديقاً،وسواء أكان التصديق ظنياً أم قطعياً،أو يراد من العلم :المعرفة ،ولذا عرّف بعضهم كإبن برهان في الوجيز الفقه:بأنه معرفة الأحكام[6].

أما الأحكام وهو جمع حكم،وهو لغةً القضاء و المنع[7]،وعند الأصوليين هو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين إقتضاءاً أو تخييراً أو وضعاً،وعرّف الفقهاء الحكم بأنه ما ثبت بالخطاب أي النسبة التامة الخبرية معناه ثبوت أمر لأمر أو انتفاؤه عنه[8].

ويكون العلم بالأحكام هو التصديق بكيفية تعلق الأحكام بأفعال المكلفين[9].

---

[1]- رواه البخاري.

[2]- إبراهيم السلقيني،المرجع السابق،ص07.

[3]- نفسه، ص07.

[4]-نفسه، ص08.

[5]-عبد الحليم الإسنيوي،نهاية السول شرح منهاج الأصول،مطبعة الصلح،مصر،د-ط،د-ت،ص23.

[6]- إبراهيم السلقيني،المرجع السابق،ص08.

[7]- أحمد بن محمد الفيومي،المصباح المنير في غريب الشرح الكبير،المطبعة الأميرية،القاهرة،ط1،1926،ص200.

[8]- محمد الزحيلي،المرجع السابق،ص14.

[9]- نفسه،ص14.

والشرعية أي المنسوبة والمـــأخوذة من الشرع المبعوث به النبي الكريم صلى الله عليه وسلم فتخرج النسب العقلية،والحسية والوضعية[1]،ويخرج من الفقه العلم بالأحكام العقلية مثل :الواحد نصف الإثنين،والكل أعظم من الجزء،والأحكام اللغوية مثل:الفاعل مرفوع،والباء للتعليل والأحكام الحسية مثل :النار محرقة والماء بارد[2].

أما العملية:فهي تعني كيفية العمل،والعمل إمّا قلبي كالنية وإمّا غير قلبي كقراءة الفاتحة وصلاة الوتر،فهو أعم من عمل الجوارح الظاهرة،وعمل القلوب أي الجوارح الباطنة،والمراد من كيفية الوجوب والحرمة وغيرهما[3].

فالعملية هي صفة الأحكام،ويخرج من الفقه الأحكام الإعتقادية التي لا تتعلق بكيفية العمل،وّنما قصد منها الإعتقاد فقط،مثل العلم بأنّ الله واحد وأنّه يُرى في الآخرة،وأنّ محمداً رسول الله ،وأنّ البعث حق،كما تخرج الأحكام النظرية في علم الأصول كالعلم بـــأنّ الإجماع حجة[4]،أما أدلتها فهي جار ومجرور متعلق بصفة العلم،أي العلم الناشئ من الأدلة،فيخرج من الفقه العلم الذي لا يتوقف على دليل كعلم الله تعالى،وعلم رسوله عليه أفضل الصلاة والسلام،وعلم جبريل فإنّها علوم غير مكتسبة من الأدلة[5]، وكذلك يخرج العلم الحاصل للمقلّد في المسائل الفقهية التي يسأل عنها العالم فإنه يعلم أنّها حكم الله بدون معرفتها من الدليل[6].

[1]- إبراهيم السلقيني،المرجع السابق، ص08.
[2]- محمد الزحيلي،المرجع السابق، ص15.
[3]- إبراهيم السلقيني،المرجع السابق،ص09.
[4]- عبد الرحيم الإسنيوي،المصدر السابق، ص62.
[5]- محمد الزحيلي،المرجع السابق، ص15.
[6]- عبد الرحيم الإسنيوي،المصدر السابق، ص27.

أما التفصيلية فهي الأدلة التي تتعلق بمسألة معينة كوجوب الصلاة لقوله تعالى:﴿ ....وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ .... ﴿٢٠﴾ ﴾[1]،وتحريم أكل مال اليتيم لقوله تعالى:﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٤﴾ ﴾[2]،ويمكننا القول أنّ الأدلة التفصيلية تتلخص في الكتاب ،السنة،الإجماع والقياس[3].

وخلاصة ذلك فإن الفقه كما يقول الدكتور فوزي فيض الله :"وهو التصديق بالقضايا الشرعية المتعلقة بكيفية العلم ،تصديقاً حاصلاً من الأدلة التفصيلية التي نصبت في الشرع على تلك القضايا[4].

المطلب الثاني: تعدد المذاهب الفقهية في بلاد المغرب الإسلامي

لقد عرف الفقه في بلاد المغرب إزدهاراً كبيراً خاصة بعد مرور القرن الخامس، فقد نهض وشاع في مذهبين:المذهب المالكي[5] والظاهري[6]، كما لاننسى من إتبع المذاهب الأخرى كمذهب الإمام الشافعي[7]، ومن أبرزهم محمد بن علي بن رمامة من قلعة بني حماد (ت بفاس 567هـ/1171م)

---

[1]- المزمل:الآية 20.

[2]- الإسراء:الآية 34.

[3]- إبراهيم السلقيني،المرجع السابق،ص09.

[4]- محمد الزحيلي،المرجع السابق،ص16.

5- المذهب المالكي:نسبة للإمام مالك بن انس وهو إمام المدينة توفي سنة 179ه، ابراهيم السلقيني، نفسه، ص31.

6- المذهب الظاهري:نشأ بالمشرق على يد أبي سليمان داود بن علي بن خلف الأصبهاني(202ه-270ه)،كان شافعي ثم تحول عنه ليبني مذهبا على قوله بأن المصادر الشرعية هي النصوص، محمد زحيلي، نفسه، ص 17.

7- ابن الأبار أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي،التكملة لكتاب الصلة،نشر فرنشسكو فودير،مطبعة روخوس،مدريد، ج2، 1886م، ص371.

567هـ/1171م) قال عنه ابن الأبار:" كان فقيهاً نظاراً مائلاً للمذهب الشافعي،عاكفاً على كتاب أبي حامد الغزالي المسمى بالبسيط محصلاً لنكته"[1].

كل ذلك بالإضافة إلى ميولات بعض الخلفاء بالإستئناس بالمذاهب الأخرى خاصة الإباضي منها لأنّه مسالم، ويسمح بالجدال الفقهي والفلسفي،كما أنّه كان متجذراً بالجهة الجنوبية للمغرب الأوسط[2]،وقد قرب يعقوب المنصور(ت595ه/1198م) زكريا ابن صالح اليرساني أبو يحي (كان حياً سنة 580ه/1184م) وهو عالم من علماء المذهب الإباضي ،ومنارة وكان صاحب ثروة وتجارة، فكانت له إتصالات مع الموحدين بفضل أمانته وصلاحه ووصل به المقام أن كان مختصاً بيعقوب المنصور منذ أن كان هذا الأخير وزيراً لوالده ثم أكرمه وأعلى منزلته بعد أن أصبح خليفة[3].

والفقيه يوسف بن إبراهيم بن مياد السدراتي الورجلاني(ت570ه/1174م)[4] له كتاب العدل والإنصاف في أصول الفقه والإختلاف في ثلاث أجزاء ،وهو بحث في مسائل الفقه الإباضي والفقيه الإباضي الآخر أبو عمار عبد الكافي الورجلاني الذي له عدة كتب في الفقه الإباضي منها:الإستطاعة،وكتاب الفرائض،وكتاب شرح الجهالات[5]،وعثمان بن خليفة السوفي الرغيني أبو عمر(ق06ه)أحد العلماء البارزين عند الإباضية،أمتاز بمقدرته الجدلية في الدفاع عن المذهب ،له

1- علي عشي،المغرب الأوسط في عهد الموحدي(دراسة تحليلية للأوضاع الثقافية والفكرية)،مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير، جامعة الحاج لخضر ،باتنة،2011م/2012م،ص215.

2- ابن الأبار،المصدر السابق،ج2، ص70.

3- الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني،طبقات المشايخ بالمغرب،تح:إبراهيم محمد طلاي،د-د،ط2،د-ت،ص327.

4- عمر فروخ،تاريخ الأدب العربي في عصر المرابطين و الموحدين،دار العلم للملايين،بيروت ،لبنان،ط2،1985 ، ص368.

5- علي عشي،المرجع السابق،ص216.

رسالة في الفرق كما له كتاب يعرف بكتاب السؤلات،فأجاب فيه عن خمسة وتسعين سؤلاً في جميع مسائل الأصول[1].

هذه عينات من فقهاء الإباضية وعلمائها الذين كان لهم أثر بارز في الصناعة الفكرية للدولة الموحدية مع نظرائهم من متصوفين وفلاسفة وعلماء المالكية وفقهائها[2].

إنّ هذه العلاقة بين مختلف هذه التيارات الفقهية والفكرية ساهمت في إبراز جو التسامح الذي كان سائداً إبان بدايات ومنتصف القرن 06هـ،وعموماً فإنّه من السهل على القارىء أن يلاحظ من خلال نظرة تحليلية بسيطة بأنّ توزيع علماء المغرب الأوسط كانت الغلبة فيه للمذهب المالكي وفقهه،وهذا يبين البنية الفقهية ويؤكد طبيعة فكر المجتمع في المغرب الأوسط، ويظهر رسوخ هذا الأخير في الأوساط الشعبية رغم محاولات خلفاء الدولة الموحدية للقضاء عليه وكسر شوكته[3].

كما نلاحظ أنّ أصغر نسبة لتواجد العلماء والشيوخ في ميدان الفقه الظاهري وذلك يعزز نظرية إنحصار هذا المذهب في الفئة الحاكمة ومن والاهم من فقهاء ،و لم تكن لهم قاعدة شعبية[4].

المذهب المالكي:

بقد ماكان الخلفاء متأثرين بالمذهب الظاهري وإعتمدوه سيرا على خطى إمامهم الأكبر إبن تومرت،كان فقهاء عصرهم من المغاربة ساخطين على هذا المذهب متعصبين للمذهب المالكي وناصرين له[5].

---

[1]- بحاز إبراهيم، صور من الإباضية في عهد الموحدين،مجلة الحياة،جمعية القرآن،غرداية، ع02 ،1999م، ص153.

[2]- بحاز إبراهيم، المرجع السابق، ص154.

[3]- علي عشي، المرجع السابق،ص216.

[4]- بحاز إبراهيم، المرجع السابق،ص154.

5- ليفنتسكي تاديوس، المؤرخون الاباضيون وكتاب السير والرواة الاباضيون والوهابيون في افريقيا الشمالية ق8م حتى ق16م، تر: ماهر حرار، مؤسسة توات الثقافية ، د.ط و2007مو،ص78.

وقد أدرك ابن تومرت في بداية دعوته أنّ المرابطين كانت سيرتهم فوق كل إتهام في أعين العامة من المسلمين ،فعلى المستوى الديني كانوا يحظون بمساندة أكبر الفقهاء في المغرب الإسلامي مثل ابن رشد وبن الجد،والقاضي الشهير عياض[1]، وكانت دائرة علي بن يوسف متكونة في أساسها من فقهاء مالكيين وعلماء أجلاء من هذا المذهب، ولم يكن شيء يدير دون موافقتهم،وكان الشعب قد تعود على إحترام تلك الشخصيات وإتباعها دون إعتراض لأنّهم كانوا يتكلمون باسم الدين أي باسم الله[2]،فسعى ابن تومرت للقضاء على مكانة علماء وفقهاء المالكية،فتؤثر على عقول العامة والتي ساعدتها الوحدة المذهبية المالكية في بلاد المغرب،ويحرص البيذق (555هـ/1160م) على تعداد أسماء الفقهاء الذين كانوا يأتون المجالس التي يعقدها صاحبه[3].

فقام الأمير المرابطي بجمع الفقهاء لمناظرتهم وخاطبهم :"إنّما بعثت لكم لتختبروا أمره فإن كان علماً إتبعناه وإن كان جاهلاً أدبناه"[4]،هذا واتهم المهدي بن تومرت بإطراحه مذهب مالك وترك الرأي وأعتبرت دعوته إلى الرجوع إلى القرآن والسنة وإستنباط الأحكام منها وحصره أصول الأدلة في القرآن والسنة ،ومحاربته فقه الفروع[5]،لكن بالرغم من ذلك لا يمكن أن ننكر بأن تراث إبن تومرت يشهد بأنه كان مالكيا ومات مالكيا حيث صنف كتاب سماه"محاذي الموطأ" وهو إختصار لموطأ مالك برواية عبد الله بن بكير المخزومي(ت231هـ/845م) وتشهد على ذلك الأحكام التي وردت في كتابه" أعز ما يطلب"[6].

1- ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تح:عبد الوهاب منور،دار المنصور للطباعة،د-ط،الرباط،1972م،ص207.

2- محمد زنير،المغرب في العصر الوسيط،الدولة،المدينة،الإقتصاد،مطبعة النجاح الجيدة،ط1،الرباط،1999 م، ص122.

3- علي عشي،المرجع السابق،ص217.

4- ابن أبي زرع الفاسي،المصدر السابق،ص174.

5- ابن تومرت المهدي،أعز ما يطلب،تع:عبد الغني أبو عزم،مؤسسة الغني للنشر ، د-ط، الرباط،المغرب،1997م، ص45.

6- نفسه، ص396.

من فقهاء المغرب الأوسط الذين ثاروا ضد الموحدين محمد بن عبد الحق الإشبيلي (ت581هـ/1185م)[1]،الذي إستوطن بجاية وعرضوا عليه القضاء الموحدين،فأبى فلما غزا بنو غانية بجاية في محاولة منهم لإحياء دولة المرابطين سنة 580هـ/1184م[2]،سارع لتأييدهم وتولى القضاء لهم، فحمق عليه الموحدون وراموا سفك دمه،فعصم الله دمه وتوفي قبل أن يستعيد الموحدون بجاية من بني غانية[3].

لم تستطع مبادىء الموحدين أن تزاحم مبادىء المالكية،فالشعب جميعه مالكي لأن الموحدين جاءوا بمبادىء التوحدية،كلها كلامية لايدركها إلا الخاصة،والشعوب غالبا تؤمن بالعاطفة والقلب لا بالعقل والجدل[4].

فالموحدون أنفسهم لم يلتفوا حول ابن تومرت لإستحسانهم لطريق الجدل،بل بطريق فكرة المهدي المنتظر، التي كانت كثير ما تتردد من العوام ومعها يتمنون ظهور المهدي[5]،لهذا أضحت الدولة الموحدية بعد وفاة المهدي واستقرارها في شبه جمود بعد أن وصل الموحدون إلى تحقيق أهدافهم وسقوط قناع فكرة المهداوية لتنكشف الطبيعة الزائفة لحكامها،فكان لابد من إصلاح يقوم به الأمير عبد المؤمن ،فقام بخطوة في سبيل إضعاف سيطرة المذهب المالكي على نفوس الشعب،إذ أصدر أوامر بإصلاح المساجد وبنائها في تلمسان وفي جميع بلاده وتغيير المنكر ،وتحريف كتب الفروع ورد الناس إلى قراءة الحديث[6]،وهدف إلى تكليف الطلبة لتنفيذ الأمور دون الولاة ورجال الجيش ليجس بذلك نبض المالكية بطريق الإقناع حتى يجنب نفسه عواقب الثورات المسلحة التي ربما يشعلها المالكية ضده في أنحاء البلاد، ومنها أن تأخير أمره بتحريف كتب الفروع إلى نهاية

---

[1]- ابن الأبار،المصدر السابق،ج2، ص648.

[2]- ابن أبي زرع ،المصدر السابق،ص95.

3- الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد،عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح:رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر، ط2،1981م،ص75.

[4]- علي عشي،المرجع السابق،ص218.

5- عبد الله علي علام،الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارفألقاهرة، د-ط،1971م، ص230.

6 - ابن أبي زرع الفاسي ،المصدر السابق، ص189.

دعوته، ما يشعر بأنه يخشى عاقبة التنفيذ وبالتالي ما يوحي إلى العلماء بالكف إذا صادفوا تذمراً من المالكية[1].

و لم يقم هؤلاء الطلبة الموحدين بتنفيذ رغبة الخليفة عبد المؤمن ولا حتى ابنه يوسف من بعده إنما قام بذلك الخليفة يعقوب المنصور(595هـ/1198م) حفيد عبد المؤمن الذي رمت مساعيه إلى محو المذهب المالكي من المغرب الإسلامي مرة واحدة ليجعل الناس يتجهون نحو ظاهرة القرآن والحديث[2]،كما يعتبر المراكشي شاهدا على هذه الأحداث فيقول:"...لقد شهدت منها وأنا يومئذ بمدينة فاس،يؤتي منها بالأحمال فتوضع ويطلق فيها النار،وتقدم إلى الناس لترك الإشتغال بعلم الرأي والخوض في شيء منه،وتوعد على ذلك بالعقوبة الشديدة، فأمر جماعة ممن كان عندهم من العلماء المحدثين بجمع أحاديث من المصنفات العشرة في الصلاة[3].

يمكن القول بأن نهاية هذه المعركة الفقهية كانت بوضع فقه أساسه من الكتاب والسنة وظن الخليفة يعقوب المنصور أنّه بهذا قضى على الفقه المالكي في حين أن فقه الموحدين لم يكن سوى فقه مالك بعد حذف الأسانيد ولآراء الفقهاء،وتهافت الناس على حفظ الفقه الجديد ،لكن من كان يسير الناس على هديه كان فقه مالك الذي لم يكن فقهاؤه يجادلهم الشعب أو لا يبدي لهم مظاهر الإجلال و الإكبار[4].

لكن ما يلاحظ بعد ذلك قيام يعقوب المنصور نفسه بالتشبك في مبادىء المهداوية ما أثار إرتياب في نفوس الناس من حقيقة ابن تومرت الأمر الذي سمح لفقهاء المالكية إستعادة مكانتهم لدى الشعب[5]،ليتولى الخليفة إدريس المأمون (626-630هـ/1228م-1232م) ويعلن من على المنابر وعلى الملأ إلغاء أسطورة المهدوية.

---

[1]- عبد الله علي علام،المرجع السابق،ص231.

2- عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، دار الكتب العلمية، بيروت،ط2،2005 م ص197.

[3]- المراكشي المصدر السابق، ص192.

[4]- عبد الله علي علام، المرجع السابق، ص232.

[5]- نفسه، ص233.

في واقع الأمر لا يمكننا أن نتحدث عن شيء إسمه المذهب الموحدي أو التومرتي نظراً لكون الموحدين لم يبلورو منظومة فقهية متميزة أو حتى نسقا فكرياً متماسكاً،ولكنهم دعوا بشكل عام إلى الرجوع إلى أصول الإسلام وركزوا على بعض الأولويات في هذا الإتجاه[1].

أما في كتب المناقب والتصوف تظهر أخبار متفرقة تبدي إهتمام المتصوفة والفقهاء لتدارس المذهب المالكي والإنكباب على بعض أمهات الكتب رغم الحظر الرسمي[2]،وللتدليل على هذا تثبت جملة من علماء المغرب الأوسط الذين كانوا على المذهب المالكي في هذا العهد مع ذكر بعض مؤلفاتهم:

علي بن أبي قنون[3]:أصله من تلمسان ،وبها درس الفقه المالكي توفي عام 577هـ /1181م[4]، وكان مستبحراً في حفظ الفقه ،له كتاب في أصول الفقه سماه "المقتصب الأشفى في إختصار المستصفى"[5]،كما وقد نسج على منوال أبي قنون العالم **أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي (580هـ/1184م)[6]:** الفقيه المالكي ،كان يسمى أبا حامد الصغير له المصنفات الحسنة منها "التذكرة في اصول علوم الدين"،و "النبراس في الرد على منكر القياس"[7].

ميمون بن جبارة[8]:كان مختصاً في أصول الفقه توفي في تلمسان في سنة 584هـ 1188م[9]،كما ساهم ضيوف المغرب الأوسط و منهم : **علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم**

1- خالد الصمد،مدرسة فقه الحديث بالمغرب الإسلامي من النشأة إلى غاية نهاية القرن 7ه/14م (جذورها،آثارها،مناهجها) دار أبي الرقراق للطباعة والنشرألرباط،المغرب،ط1،2006م،ص86.

2- محمد القبلي، مراجعات حول المجتمع والثقافة لامغرب الوسيط، دار توبقال للنشر،الدار البيضاء،المغرب، د ط،1987م ص26.

3- ابن الأبار،المصدر السابق،ج2، ص294.

4- نفسه، ص686.

5- علي عشي، المرجع السابق، ص220

6- الغبريني،المصدر السابق،ص66.

7- نفسه،ص67.

8- ابن الأبار، المصدر السابق، ج2، ص396.

9- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص128.

إبراهيم الحرالي التجيبي (ت637هـ/1239م)[1]،الذي نزل ببجاية وكان له كتاب في علم الفرائض[2] وغير هؤلاء ممن حملوا مشعل المذهب وطافوا به بلاد المغرب،وهكذا إستمر الإشتغال بمذهب مالك وأصوله المبنية على الأثر والحديث من غير عنف ولا تضييق.[3]

بهذا يمكن القول أن مذهب الإمام مالك قد واصل تفرعه وإنتشاره،ونتيجة للتفاعل مع الدعوة الموحدية الجديدة فقد مال أهله إلى الترجيح والتأويل ونبذ التعصب سواء أكان ذلك في أئمتهم أو مشايخهم وجعلوا البحث والنظر رائدهم في معرفة الحقائق وتقرير الأحكام،فرجعوا بذلك إلى الأصول الأولى ومصادره كالكتاب والسنة وما إليها،أي الأمر يتعلق بالدعوة إلى العمل بالسنة أكثر من الإنتماء إلى مذهب معين[4] ،ويبدو الأثر الوحيد الذي خلفته الدعوة الموحدية هو رسوخ مذهب الأشاعرة في نفوس العامة و الخاصة،وإسترجاع الحديث وعلم الاصول مكانتهما[5].

ورغم سيطرة الموحدين على الساحة السياسية والعسكرية فإن ذلك لم يؤدي بطبيعة الحال إلى سيطرة روحية وإعتناقه للتومرتية والإعتقاد بالمهدوية والعصمة،ربما بسبب الطريقة الإكراهية التي فرضها ابن تومرت وخلفائه[6]،أو ربما يعود سبب إخفاق الموحدين في جعل أهل المغرب الأوسط يتجاوبون معهم ويبدوا بوادر التفتح نحوهم،لتجذر المذهب المالكي فيهم وإستمراره بالمقاومة،وربما سبب إنتشار التصوف الذي لبى حاجة الناس إلى دين بسيط[7].

1- الغبريني، المصدر السابق،154.

2- نفسه، ص148.

3- علي عشي، المرجع السابق، ص223.

4- عبد الله كنون،المراكز الثقافية في المغرب من القرن 16م إلى القرن919م،جامعة الدول العربية،د-ط،1984م، ص119.

5- محمود بو عياد، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط، الشركة الوطنية للنشر والإشهار،الجزائر،د-ط،1982م، ص49.

6- البقالي محمد، الدولة و الولاية بالمغرب الوسيط علاقات وتفاعلات، دار توبقال،ط1، الدار البيضاء،1997م، ص62.

7- فتحة محمد، النوازل الفقهية والمجتمع، أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي ق 6-9هـ، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط د ط، 1999م، ص136.

- ولما آل الحكم لبني حفص وبني زيان، تغيرت اوضاع المغرب في المجا المذهبي، وبعد ان سلكو في بداية حكمهم سياسة مذهبية مزدوجة تمثلت في عدم التشدد في فرض المذهب الموحدي، وفي الوقت نفسه السماح للمذهب المالكي بالعودة للصدارة[1]، او ما عبر عنه الفريد بال بمرحلة الانتقال بين مراعاة المبادئ الموحدية في التوحيد والعقيدة، وبين العوة الى مذهب مالك، وما كاد ينجلي النصف الاول من القرن السابع للهجرة حتى أصبح المذهب المالكي المذهب الرسمي للحفصيين والزيانيين والمرنيين، فتعاضم نشاط الفقهاء المالكية، وبرز نفوهم في وقت كانت فيه عواصم ومدن المرغب الاسلامي تعج بالتيارات الصوفية السنية والفلسفية[2]

المذهب الظاهري:

إستطاع هذا المذهب أن ينال حظوة عند الخلفاء الموحدين وبصفة خاصة لدى الخليفة يعقوب المنصور[3]،وقد بلغ من اعجابه بهذا المذهب إلى حد قوله عن الشيخ الكبير إبن حزم إن كل العلماء عيال عليه[4]،فهذه النقطة تفرض علينا أن نحتاط ونتبين الصحة تجاه أي حكم نصدره على الموحدين الموحدين بهذا الصدد رغم أن من قال بنسبة المذهب الظاهري هو مذهب الدولة الموحدية صراحة كان لا يستهان به من الباحثين[5].

وللتأكيد على ذلك يمكن الإعتماد على بعض المصادر التي تناولت هذا الطرح فعلى سبيل المثال قال إسماعيل ابن الأحمر (870هـ/1405م) صاحب كتاب "بيوتات فاس":"إن ملوك الموحدين

[1] - ابراهيم السلقني، المرجع السابق، ص 230.

[2] - الفيومي، المرجع السابق، ص 212.

[3] - أبو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ابن الأثير،الكامل في التاريخ،تح:خيري سعيد، المكتبة التوفيقية،القاهرة،مصر،د-ط،د-ت،ج10،ص262.

[4] - أبو العباس شهاب الدين احمد بن محمد القرشي المقري التلمساني،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،تح:إحسان عباس،دار صادر ،بيروت،د-ط،1988م،ج3،ص238.

[5] - محمد المنوني،حضارة الموحدين ،دار توبقال، الدار البضاءألمغرب،د-ط،1989م،ص37.

تحلوا بالمذهب المعروف لهم،تابعين للمهدي رئيسهم الأول القائل بإعتقاده الفاسد بإنكار الرأي في الفروع الفقهية والعمل على محظي الظاهرية"[1].

وقد أشار الونشريسي في مبحث البدع من كتابه المعيار بقوله:"ومنها ما أحدثه المهدي الظاهري محمد بن تومرت....من عادة الدعاء بعد الصلاة،والدعاء عليها بتصاليت الإسلام عند كمال الآذان"[2]،كما ويقول الشاطبي (ت790هـ/1388م) عند كلامه على المهدي بن تومرت المغربي مبيّنا أن مذهب البذعة الظاهرية:"زكان من رأيه ترك الرأي وإتباع المذاهب الظاهرية"[3].

كما سار على مذهب الظاهرية خليفة المهدي بن تومرا وهو عبد المؤمن بن علي الكوم،حيث قال الشيخ البرزالي القيرواني في كتاب نوازله:"ولنا إطمأنت بالأمير عبد المؤمن الدار جمع الفقهاء إما لإختبارهم عن مذهبهم ،أوعلى أن يحملهم على مذهب إبن حزم"[4]،فقال هذا الأخير بظاهرية الخليفة المنصور،حيث كان يعقوب عالماً محدثاً ألف كتاب الترغيب في الصلاة وحمل الناس على مذهب الظاهرية وأحرق كتب المالكية[5].

ويؤكد المقري على ذلك بقوله :"كان أبو يوسف يعقوب المنصور يجيد حفظ القرآن ويحفظ متون الأحاديث ويتقنها ،ويتكلم في الفقه كلاماً بليغاً، وكان فقهاء الوقت يرجعون إليه في الفتاوى،وله فتاوٍ مجموعة حسب ما أدى إليه إجتهاده،وكان الفقهاء ينسبونه إلى المذهب الظاهري[6]،في حين تردد بعض الفقهاء في تحديد مذهب الخليفة المنصور أمثال الفقيه الحجوي فهو تارة ينسبه للعلماء

---

[1] - أبو الوليد إسماعيل بن يوسف الأنصاري ابن الأحمر، بيوتات فاس الكبرى، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب د-ط،1972،ص19.

[2]- علي عشي، المرجع السابق،ص224.

[3]- نفسه، ص224.

[4]- فتاوى البرزلي ،جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام،تح:محمد الحبيب الهيلة،دار الغرب الإسلامي،ط1 2002م،ج6نص376.

[5]- ابن جزي، القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية،تح:محمد بن سيدي امحمد مولاي،وزارة الأوقاف الكويتية،د-ط،2008م،ص615.

[6]- المقري،المصدر السابق،ص102.

المجتهدين الباحثين عن الحقائق ومرة أخرى ينسبه للمذهب الظاهري من خلال إشارته إلى إقدام المنصور على حرق كتب الفقه المالكي وترك الفروع وإلزامه العلماء بالأاجتهاد وظهر في وقته عديد العلماء الظاهرية وفقهائها[1].

تجدر الإشارة إلى أن أغلب المصادر المعاصرة للدولة الموحدية أو التي إعتمدت في تاريخها لا تتحدث عن إعتناقهم المذهب الظاهري،كما لا تشير إلى دعوة أحد منهم إليها[2]،لهذا يظهر للقارئ أن المصادر التي عملت على إلصاق الظاهرية بالموحدين كلها كانت كتابات فقهية إنتمت إلى مراحل لاحقة من قيام الدولة،وهذا يأخذنا بطبيعة الحال ويدعونا إلى التوقف والحذر في مسايرتهم نظراً لكونها ذات منطلق خفي المعالم والمواقف الإيديوليجية[3].

إن ابن تومرت كان له تحفظ فيما يخص مسألة القياس في مجال المناقشات الأصولية وهذ لايعني خضوعها المباشر لتأثير فكر بن حزم،وكما أنه لا يشير إلى مصادره وبخصوص المعطيات الأخرى فإنه لايشير إلى أنّ ابن حزم في كتابه "أعز ما يطلب" ولا يحتج لمقولاته[4]،وهذا معناه بأن بن تومرت كانت له ميولات ونزعو ذات طابع ظاهري،لكن دون الجزم بذلك فيما يخص مذهبه،ولوكن ذلك ما تردد على فقهاء المرابطين الذين صارعوه بإتهامه بأنه ظاهري المذهب،بل وبلغ بهم الأمر أن إتهموه بأنه من الخوارج[5].

سعى الموحدون إلى أتباع خطى أبيهم الروحي ابن تومرت في تحفيظ فقه الفروع،وذلك إلى أن قام المنصور بما عرف بحركته الكبرى وهي الرجوع إلى أصول الإسلام،حيث يشير المراكشي إلى أنه

[1]- الحجوي الثعالبي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي،مطبعة البلدية بفاس،1926، ج4، ص04.
[2]- عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، دار الكتاب اللبناني،ط1961،2م، ص124.
[3]- محمد المغراوي، الموحدون وأزمات المجتمع،دار جذور للنشر،الرباط، ط2006،1م، ص83.
[4]- علي عشي، المرجع السابق، ص226.
[5]-نفسه،ص226.

أراد "حمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث"[1]،ومما لاشك فيه أن القائلين بظاهرية الخليفة المنصور عززوا موقفهم بمصطلح "الظاهر" الذي ورد في نص الأعلام،إضافة إلى إعجابه الكبير بابن حزم الذي إعتبروه دليلاً آخر[2].

إنّ كلا من الدليلين لا يمكن بواسطتهما القطع بظاهرية المنصور فكلمة الظاهر لا تعني المذهب الظاهري كمنظومة فقهية وأصولية[3]، كما يبين الأستاذ حسيسن أن المذهب الظاهري الحزمي لم يكن يوماً هو المذهب السائد الرسمي في عهد الدولة ،ولا حتى في عهد الخليفة يعقوب المنصور،زد على ذلك عدم عدم ورود أية نص واضح يثبت أن أحداً من خلفاء الموحدين قد أمر أو أجبر على إتباع المذهب الظاهري،بل كانوا يدعون إلى العمل بالكتاب والسنة[4].

لقد كان هدف الخليفة يعقوب المنصور تأصيل الفقه وهو الأمر الذي كان أمل رواد الدولة الموحدية منذ عهد الإمام ابن تومرت،لذلك كان هذا الأخير يلتقي مع المذهب الظاهري في نقاط عديدة أهمها الإعراض عن العمل بالرأي والقياس،إلا أن المشروع الذي تبناه الموحدون لم تكن أبعاده واضحة،ذلك أنه لم يخضع لتطور وافق المستجدات التي طرأت في مرحلة ما بعد بن تومرت،وإنما أن لا يقلد العلماء أحداً من الأئمة المجتهدين المتقدمين،بل تكون أحكامهم بما يؤدي إليه إجتهادهم من إستنباطهم القضايا من الكتاب والحديث والإجماع والقياس[5].

---

[1]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص198.

[2]- المقري، المصدر السابق،ج3، ص238.

[3]- محمد المغراوي، المرجع السابق، ص83.

4- عبد الهادي حسيسن،موقف يعقوب المنصور من الظاهرية،مقال في مجلة دار الحديث الحسنية،مطبعة المعارف الجديدة،الرباط، ع:2،ص329.

[5]- علي عشي، المرجع السابق، ص226.

وفي العموم إنّ جميع الآراء التي تلصق المذهب الظاهري بالخليفة المنصور تعتمد على رواية ابن الأثير في حين أنّ الرواية التي تنفي ذلك ذلك تعتمد على شهادة إبن حمويه الدمشقي الذي زار المغرب ولبث فيه ما مكنه من الإتصال بالمنصور[1].

ونقل المقري هذه الشهادة بقوله:"والذي علمت من حاله أنه كان يجيد حفظ القرآن ويحفظ متون الأحاديث ويتقنهاو يتكلم في الفقه كلاما بليغاً وله فتاوى مجموعة حسبما أدى إليه إجتهاده، وأن الفقهاء ينسبونه إلى مذهب الظاهر[2]، وتبين لنا من هذه الجملة أن الفقهاء يتجنبون عليه ذلك وأنه كان يميل إلى الإجتهاد[3].

لم يكن بالمقدور إثبات أمر المنصور أو غيره من خلفاء الموحدين في الإعتماد على كتب الظاهرية وإنما إكتفى بمصنفات الحديث المذكورة،ولو كان ظاهرياً يأمر لكتبهم أن تدرس أو تكن من المصادر التي جمعت منها الأحاديث في كتاب الصلاة والجهاد[4].

قام فقهاء المالكية بفترة حكم الموحدين بعدة تآليف كانت موجهة للرد على ابن حزم، وقد أفرزت عدة تآليف في الرد على أفكار الظاهرية أهمها كان في المغرب الأوسط وعنوانه "النبراس في الرد على منكر القياس"[5]لقاضي بجاية حسن بن علي بن محمد المسيلي (ت580ه/1184م) قال عنه الغبريني:"أنّه كتاب مليح على ما أخبرت عنه ،و لم أره،وأنا شديد الحرص عليه،ولقد أخبرني

[1]- بولطيف لخضر،فقهاء المالكية والتجربة السياسية في الغرب الإسلامي،المعهد العالمي للفكر الإسلامي،هوندن، فرجينيا الولايات المتحدة الأمريكية، ط1، 2009م، ص310.

[2]- المقري،المصدر السابق، ج3، ص102.

[3]- عبد الله كنون، المرجع السابق،ج1، ص125.

[4]- محمد مغراوي، العلماء والصلحاء في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، رسالة دكتوراة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،الرباط،2001-2002م،ص175.

[5]- علي عشي، المرجع السابق، ص227.

بعض الطلبة المتمسكون بالظاهري وهو من أنبلهم أنّه رأى هذا الكتاب، وأنّه ما رأى في الكتب الموضوعة في هذا الشأن مثله"[1].

كما وكان للفقيه البجائي الآخر أبي زكرياء الزواوي (ت611ه/1214م) كتاب بعنوان "حجة الأيام وقدوة الأنام"والذي أثار حفيظة أصحاب الميول الحزمية ما دفعهم إلى رفع أمره إلى الخليفة الموحدي[2]،ولم تهدأ الزوبعة إلاّ بعد أن قام صاحبه بإرسال أبو محمد عبد الكريم الحسني إلى مراكش ليدافع عنه ويوضح إتجاهاته الفكرية وآرائه التي تناولها في كتابه أمام مجلس حضرة الخليفة وفقهائه[3]، فما كان من الخليفة إلاّ أن قال بترك هذا الرجل على رأيه وإختياره،فإن شاء لعن وإن شاء سكت[4].

إنّ معالم التوجه الموحدي أكثر إذا نظرنا إليها من خلال ميولهم إلى العمل بالحديث ،أكثر من لو نظرنا إليها من زاوية إتباع وتبني المذهب الظاهري،وذلك ما تؤكده المصادر وبالأخص في فترة الخليفة المنصور[5].

على الرغم من كل ذلك ظهر في المغرب الأوسط بعض من الفقهاء الذين عاشوا بهذا المذهب فترة زمنية إستطاعوا من خلالها ترك بصماتهم في أفكاره وحضارته،على سبيل الذكر: صاحب الرابطة المعروفة برابطة إبن يبكى، بداخل باب أمسيون من أعلى سند ببجاية[6].

---

[1]- الغبريني، المصدر السابق، ص66.

[2]- علي عشي، المرجع السابق، ص227.

[3]- الغبريني، المصدر السابق، ص136.

[4]- نفسه، ص217.

[5]- علي عشي، المرجع السابق،ص228.

[6]- محمد الحفناوي،تعريف الخلف لرجال السلف، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، د-ط،1906،ص222.

محمد بن عبد الله إبن مروان أبو عبد الله[1]، الهمذاني الوهراني مولداً، التلمساني منشأ، وأصله من الأندلس[2]، جدّ في طلب الفقه والأدب ومال إلى العلم الظاهر وأكثر من مطالعة كتب ابن حزم القرطبي،صاحب كتاب "الفصل في الملل والأهواء والنحل"، وليّ قضاء تلمسان واشتهر بذلك حتى أعجب به الخليفة المنصور، فاستدعاه إلى حضرته وولاّه قضاء مراكش (ت601هـ/1204م)[3] كذلك أبو الخطاب عمر بن الحسن إبن علي بن دحية الكلبي (ت633هـ/1235م)[4]، وهو ظاهري المذهب، ألف كتاباً مهما جدا في الفقه بعنوان" وهج الجمر في تحريم الخمر".

يمكن القول بأن مذهب الإمام مالك لم يعرف الهزيمة مطلقاً أمام الدعوة إلى الإجتهاد ،هاته الأخيرة التي كانت متبنّاة من الموحدين الذين تزعموها،ولا حتى أمام المذهب الظاهري الذي عرف أوجه في هذه الفترة،والدليل أن أمهات الكتب في فقه مالك كان يعاد كتابتها فور إحراقها[5].

وبهذا يمكن القول أن من أسباب التي قوضت مساعي الموحدين في مشروعهم الرامي إلى تقليص ظل المالكية وتكبيل والحد من سلطة فقهائها وغستطدمت ببقاء الكثير من الفقهاء على صلة بالمالكية في العهد الموحدي[6].

المذهب الإباضي:

ويُعتبر المذهب الإباضي من أقدم المذاهب الإسلامية، وهو يختلف عن مذاهب أهل السنة ومذاهب الشيعية، حياتهم الاجتماعية لا تنفصل عن الآخرين، يتزاوجون مع المنتمين إلى المذاهب الأخرى

[1]- هو مروان بن محمد بن علي بن مروان بن جبل الهمداني، أبو علي تعلم من أبيه في بلده ومن غيره بمراكش،كان فقيهاً ومفتياً،تولى القضاء بتلمسان وسبتة ومرسية، فتوفي بها، يحي بن خلدون، بغية الرواد، ج1،ص105).

[2]- ابن الأبار،المصدر السابق،ج2، ص374.

[3]- ابن الابار ، المصدر السابق ،ص374

[4]- الغبريني، المصدر السابق، ص228.

[5]- المقري، المصدر السابق،ج2، ص99.

[6]-بولطيف لخضر،المرجع السابق، ص319.

عاداتهم هي نفس عادات الآخرين في المجتمعات التي يعيشون فيها، لهم آراء محددة في الخلافة والحكم، وأسلوب التعامل مع الحكام[1].

انتشر المذهب الإباضي في المغرب على يد دعاة مخلصين وجدوا من البربر آذانا صاغية، فاستغلوا ذلك لنشر مذهبهم الذي طورد في المشرق القريب من عاصمة الخلافة الإسلامية فقد رأوا أنه حفاظا على بقاء مذهبهم وإقامة سلطة باسمه لابد وأن تكون بعيدة عن بطش الخلافة، فاختاروا المغرب بين قبائل البربر فقام للخوارج في المغرب مذهبان مذهب الإباضية ومذهب الصفرية، وكان مما ساعدهما في الانتعاش شيئا فشيئا اعتدال دعوتهم التي تهادن الحكام تحت ستار التقية وتعامل المخالفين بقدر من التسامح إلى أن بلغوا ما أرادوا، ولولا هذا الاعتدال لكان مصيرهم لا يقل عن مصير أولئك الذين قلما يجتمع لهم أقل عدد إلا وأعلنوها ثورة وعصيانا مسلحا فتنقض عليهم جيوش الخلافة حتى يبادوا، وقد أبيدوا بالفعل وما نشأت خوارج المغرب إلا نتيجة من نتائج تلك الإبادة في المشرق[2].

والمذهب الاباضي لم يقبل هذه الأفكار التي تنشر الجهل والتخلف ، وتقتل روح العمل والجد والاجتهاد والمثابرة التي أمر بها الإسلام[3] .

لقد كان المذهب الإباضي في طياته يحمل بذور الاختلاف والتوافت مع الصوفية في مجموعة من الافكار والمعتقدات وحتى مظاهر المعاملات الدينية، بل وصل الامر بينهما الى التنافس في تحقيق المكانة بين العامة من الناس وحتى لدى الحكام.

ومع ذلك فقد تأثر بعض الاباضية بفكر التصوف لكن دون إغراق في الزهد الساذج ولا تفريط في مبدأ السعي والعمل وطلب العلم من مظانه .

---

[1] - الطاهر بونابي، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين 14-15 الميلاديين، أطروحة دكتوراه، قسم تاريخ، جامعة الجزائر، 1429هـ / 2008-2009م ، ص 495.

[2] - الطاهر بونابي، الحركة الصوفية ، ص 498.

[3] - علي عشي، المرجع السابق، ص 238.

المبحث الثاني: ماهية التصوّف وظهوره في بلاد المغرب

المطلب الأول: تعريف التصوّف

لغة: قيل أنّ التصوف من الصفاء[1]، ويرى القيشري أنّ اشتقاق إسم الصوفي من الصفاء بعيداً في مقتضى اللغة[2]،في حين يرى الكلاباذي هذه التسمية بوجه آخر فهو يرجع أصل التسمية إلى طائفة قالت بأنّ الصوفية سميت بهذا نسبة لصفاء أسرارها ويعتمد في هذا الصدد بقول بشر الحافي الصوفي من صفا قلبه لله[3]، أما السراج الطوسي فيذكر قول أبي الحسن الغناء: الصوفي مأخوذة من الصفاء وهو القيام لله عزّ و جلّ في كل وقت بشرط الوفاء[4].

و هو علم يعرف به كيفية السلوك إلى حضرة ملك الملوك أو تصفية البطون من الرذائل و تحليتها من أنواع الفضائل أو غيبة الخلق في شهود الحق فأوله علم ووسطه عمل وآخره موهبة[5].

ويشتق من الصفاء مداره على التصفية أو من الصفة لأنه إتصاف بالكمالات[6]، وقال الجنيد:"الصوفي كالأرض يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها إلاّ المليح"[7]، وقال سهل: "الصوفي

---

[1]- أقزوق محمود حمدي، مقدمة في الفلسفة الإسلامية، دار الفكر الغربي للنشر والتوزيع، القاهرة، د-ط،2003م، ص163.

[2]- صالح علي حشيش،الحركة الصوفية في بلاد الشام خلال الحروب الصليبية (492هـ-690هـ/1280م-1291م) مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين،1426هـ/2005م، ص41.

[3]- أبو بكر محمد بن اسحاق البخاري الكلابذي،كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف، تص: آرترجون أريري، مكتبة الخانجي القاهرة، د-ط،د-ت، ص05.

[4]- أبو نصر السراج الطوسي، اللمع، تح:عبد الحليم محمد طه و عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة، مصر، 1960م د-ط، ص21.

[5]- عبد الله أحمد بن عجيبة، سراج التشوف إلى حقائق التصوف، تح:عبد الحميد خبالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء،د-ط، د-ت، ص-ص:25-26.

[6]- عبد الله أحمد بن عجيبة، المرجع السابق، ص26.

[7]- نفسه،ص26.

"الصوفي من صفا من الكدر أو إمتلأ من الفكر وانقطع إلى الله من البشر وإستوى عنده الذهن والمدار[1]،أي لا رغبة في شيء دون مولاه[2].

ذهب جمع من المتصوفة وغيرهم إلى إشتقاق التصوف من الصوف لكن بعض المتصوفة صرح بمنع أن يكون إشتقاق لغوي وجعلوه لقب محظ ولهذا قال القيشري البجويري:" وليس يشهد بهذا الإسم من حيث العربية ولا اشتقاق والأظهر فيه أنّه كاللقب[3].

قال الهجويري واشتقاق هذا الإسم لا يصح على مقتضى اللغة من أي معنى لأن هذا الإسم أعظم من ان يكون له جنس يشتق منه وهم يشتقون الشيء من شيء مجانس له، وكل ماهو كائن ضد الصفاء ولا يشتق من ضده وهذا المعنى أظهر من الشمس عند أهله ولا يحتاج إلى العبارة[4].

ذهب إلى ترجيح القول باشتقاق التصوف من الصوف الشيخ ابن تيمية فإنه يقول: "وهولاء نسبوا إلى اللبسة الظاهرة وهي لباس الصوف فقيل في أحدهم صوفي ،وليس بطريقتهم مقيدا بلبس الصوف،ولا هم أوجبوا ذلك ولا علقوا الأمر به،ولكن أضيفوا إليه لكونهم ظاهر الحال[5].

إصطلاحاً:

أما تعريف التصوف في الإصطلاح فقد أختلف في مضمونها فقال الإمام الحافظ العلامة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله،وقد روي أبو الشيخ الاصبهاني باسناده عن محمد بن سيرين أنه بلغه أن قوما يفضلون لباس الصوف فقال:"إن قوما يتخيرون الصوف يقولون أنهم متشبهون بالمسيح بن

---

[1]- المدر قطعة الطين اليابس وقيل اليابس العلك الذي لا رمل فيه، لسان العرب لابن منظور،ج5، ص162 .

[2]- عبد الله بن أحمد بن عجيبة، المرجع السابق، ص26.

[3]- أنا ماري شيمل،الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، تر: محمد إسماعيل السيد و رضا حامد قطب،ط1،منشورات الحمل،كولونيا(ألمانيا)، بغداد، 2006 م، ص07.

[4]- المقصود هنا بيان أن القول بالاشتقاق ليس مجمعاً عليه بينهم، فأما الأقوال القائلة بالاشتقاق فليس هذا محلها، نفسه ص 08.

[5]- إحسان إلهي ظهير، موضوع التصوف(المنشأ والمصادر)، إدارة ترجمان السنية، ط1، 1986 م ، ص24.

مريم وهدي نبينا أحب إلينا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلبس القطن وغيره أو كلاماً نحواً من هذا[1].

وقال الكلاباذي في نقله عن الإمام الجنيد هو وعبد السلام أسمر الفيتوري أنه سئل عن التصوف فقال:"تصفية القلب موافقة البرية ومفارقة أخلاق الطبيعة وإخماد الصفات البشرية ومجانبة الدواعي النفسانية ومنازلة الصفات الروحانية والتعلق بالعلوم الحقيقية"[2]،ويقول الجنيد أيضاً:"التصوف نعت أقحم العبد فيه ،قيل :نعت معبد أو نعت للحق؟ فقال:نعت للحق حقيقة ونعت العبد رسماً[3] وذكر العطار عن أبي الحسن الخرقاني أنه قال:"إن التصوف عبارة عن الجسم الميت والقلب المعدوم والروح المحرقة[4]، وقال ابن خيل: "الزهد هو عدم الفرح بإقبال الدنيا والحزن على إدبارها"[5].

ويطلق مصطلح الزهاد على الذين انقطعوا إلى العبادة شغلوا أوقاتهم بذكر الله والتوسل إليه طلباً للنجاة ،وقد توترت الآيات التي تعد أهل الورد بجزيل الثواب وتتوعد الآثمين بشديد العقاب وهي آيات تتضمن إشارة إلى حقارة الدنيا وذم متاعها وزخرفها وتفضيل الآخرة عليها[6]، ولقوله سبحانه وتعالى:﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن

[1]- لطف الله خوجة،موضوع التصوف،مكتبة الملك فهدالوطنية،مكة المكرمة،د-ط،1432هـ، ص46.

[2]- إحسان إلهي ظهير، المرجع السابق، ص20.

[3]- نفسه، ص20.

[4]- احسان الهي ظهير، المرجع السابق، ص20.

[5]- محمد بركات البيلي،الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن 5هـ، دار النهضة العربية،القاهرة، د-ط 1993م،ص07.

[6]- توفيق بن عامر،التصوف الإسلامي إلى القرن السادس هجري،المركز القومي للنشر والتوزيع،تونس ،ط1،1419هـ 1998م،ص10.

زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾[1]، ويقال إذا زهد العبد في الدنيا أثنت الله الحكمة في قلبه وأطلق بها لسانه وبصره وعيوب الدنيا ورائها ودوائها[2].

وقال الفضل بن عياض :"أصل الزهد الرضا عن الله عز و جل"،وقال يوسف بن ميسرة : "ليس الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال وإضاعة المال،إنما الزهادة في الدنيا أن يكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك ،وأن يكون حالك في المصيبة وحالك إن لم تصب جمعاً سواء،وأن مادحك وذامُّك في الحق سواء"[3].

ويقال أنّ الزهد هو ترك فضول الحلال،أو ترك الحرام و أخصهم الزهد وهو ترك ما يشغلك عن مولاك،حسب ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"الزهد خير كله،إن حقيقة الزهد أن تترك نفسك ،دنياك ،وروحك عقباك ويبقى سرك مع مولاك[4].

وقال أبو حامد الغزالي رحمة الله عليه: "معرفة الزهد أمر مشكل من ثلاث علامات ينبغي أن يحولها في باطنه أولها هي ألاّ يفرح بالوجود ولا يحزن على مفقود لقوله تعالى:﴿ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾[5] والعلامة الثانية أن يستوي عند ذامه ومادحه، أما العلامة الثالثة أن يكون أنسه بالله عز و جل والغالب على قلبه

---

[1]- سورة آل عمران، الآية:185.

[2]- عبد الحليم محمود،أقطاب التصوف لسفيان الثوري،دار المعارف،القاهرة،ط3،د-ت،ص100.

[3]- عبد الله بن مبارك المروزي، الزهد والرقائق/مج1، تح:أحمد فريد، دار المعراج للنشر والتوزيع، الرياض، ط 1، 1415هـ 1995م،ص16.

[4]- أحمد بن إبراهيم بن علانة الصديقي الشافعي النقشبندي،شرح الحكم الغوثية لشيخ الشيوخ سيدي أبي مدين شعيب التلمساني المغربي،تح:أحمد فريد المهزيدي، دار الآفاق العربية للطباعة والنشر،القاهرة، د-ت، ص50.

[5]- سورة الحديد، الآية:23.

حلاوة الطاعة[1]، وقال قوم إنما سموا صوفية أنهم في الصف الأول بين يدي الله تعالى بارتفاع هممهم إليه وإقبالهم عليه ووقوفهم بسائرهم بين يديه[2].

وقال بندار بن الحسين:الصوفي من إختاره الحق لنفسه فاصطفاه وعن نفسه برأه و لم يرده إلى تعمل وتكليف الدعوى[3].

أنواع التصوف:

عرف التصوف منذ القدم مجالات متعددة ،فهو ظاهرة مشتركة بين الأديان والفلسفات والحضارات،ويخضع المتصوف إلى إنتمائه الحضاري والعقائدي البيئي، وإلى أوضاع عصره[4]، إضافة إلى أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكباره من الصحابة والتابعين ومن بعدهم[5] وهذا دليل على أن التصوف يخضع لعوامل مختلفة تحدد طبيعة ونوعه وقد عرف التصوف الإسلامي في تاريخه نوعان من التصوف هما التصوف السني والتصوف الفلسفي.

أولاً: التصوف السني

يمكن القول بأن ظاهرة التصوف عرفت تطوراً كبيراً في أنواعها منذ بدايات ظهورها للعلن،فخلال القرنين 1هـ و2هـ تميز التصوف السني عند المسلمين بمظاهر الإلتزام بأوامر الله ونواهيه والإقتداء بسيرة النبي صلوات الله وسلامه عليه،وما تنطوي عليه من عبادة وزهد في الدنيا والإعراض عن مباهجها والإقبال على التوبة وتجنب المعاصي،ومنه تلخصت وجهتهم في مظهرين:مظهر بارز تمثل في ترك مظاهر الدنيا من مال وجاه ومراقبة القلب كونه مصدر الأفعال

---

[1]- شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري،نهاية الأرب في فنون الأدب،تح:يحي الشامي،دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د-ط،د-ت، ص264.

[2]- إحسان إلهي ظهير، المرجع السابق، ص20.

[3]- نفسه، ص24.

[4]- ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن،شفاء السائل لتهذيب المسائل، نشر الأب أغناطيوس عبدو، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت د- ط،د-ت،ص26.

[5]- ابن خلدون،المقدمة،تح:حجر عاصي،منشورات مكتبة الهلال،بيروت،د-ط،1991م،ص584.

لتعرف هذه المرحلة بإسم مجاهدة التقوى[1]،وأحسن مصدر لهذا الغرض كتاب "الرعاية لحقوق الله" للحارث بن أسد المحاسبي(ت243هـ/850م)[2].

وخلال القرنين 3و4الهجريين 9و10الميلاديين تطور التصوف السني ليصبح هدف منتحليه الوصول إلى نفس خيرة،قائمة على أداة القرآن والسنة فعمدوا إلى تقويم النفس وتهذيبها عن طريق الإرادة والرياضة،[3]وأما الرياضة فهي تدريب النفس وفق مظهرين مظهر بارز يتمثل في الإعراض عن زينة الدنيا من المال ،الجاه وشهوات البطن والفرج ومقاومتها عن طريق الصيام وقيام الليل والتهجد والهدف منه تعويد النفس على ذلك وتقويمها بالوصول إلى مراتب الأنبياء والشهداء والصلحاء،وعرف هذا النوع بمجاهدة الإستقامة[4].

ثم أصبح خلال القرنين 5هـ/11م إلى الكشف عن عالم الغيب كمعرفة صفات الله ورؤية العرش والكرسي والوحي والملائكة، وكل هذا يتحقق عن طريق المجاهدات السابقة الذكر (مجاهدة التقوى ومجاهدة الإستقامة)،إضافة إلى الإقتداء بشيخ مارس أنواع المجاهدات وانكشف له عالم الغيب فالمقبل على ذلك يجب عليه:إلتزام الخلوة وممارسة الجهادات كالصمت ،الجوع ،قيام الليل، فكلّها تخمد الأحاسيس والقوى[5]،لتكون خاتمة هذه المجاهدات الذكر ،حيث يعيّن الشيخ للمريد ذكراً يشغل به لسانه وقلبه،كأن يكون نصّه:الله، الله، الله، أو لا إله إلا الله،لا إله إلا الله"[6]، فيواضب عليه المريد حيث تسقط حركة اللسان،وتبقى صورة اللفظ في القلب حتى تمحى هذه الصورة من

---

[1]- ابن خلدون، شفاء السائل، ص34.

[2]- مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة،كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج2، مكتبةالمثنى، بغداد، د-ط د- ت، ص908.

[3]- الطاهر بونابي،التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7 الهجريين /12 و13 الميلاديين، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع عين مليلة، د-ط،2004، ص39.

[4]- ابن خلدون، شفاء السائل، ص34.

[5]- ابن خلدون، شفاء السائل ، ص40.

[6]-نفسه ،ص43.

القلب ويبقى معناه ملازما حاضراً، وفي هذه الحالة تصل المجاهدة بصاحبها إلى فراغ القلب عمّا سوى الله[1].

وهنا يقع الحذر الشديد من وسواس الشيطان ،وخواطر الدنيا فيجتهد في ذلك، وخلال هذه المجاهدة يعرض المريد على شيخه كل ما يعتريه في قلبه من نشاط ،كسل أو صدق إرادة فهذه المراقبة ضرورية من جانب الشيخ ،لأنّ قلب المريد قد يغلب عليه خيال من الخيالات[2]، فيسلك طريق الإباحة أوقد يعجب بنفسه،أوقد يقنع بما ينكشف له في أوائل الأحوال والكرامات فيكون الفتور في المجاهدة وقد تنقطع،لهذا وجب على المريد إلتزام المجاهدة ،فإن نجا من هذه المثبطات إنكشف له سر الملكوت وعليه يدرك حقائق الوجود ووقائعها قبل حدوثها ويحل المسائل بفضل قوة نفسه وهمتها،فتصبح كل الأشياء طوع إرادته، وهذا ما يعرف بالكرامة الصوفية[3].

وفي أثناء هذه المجاهدات كلها التي يمر بها التصوف السني تطرأ على النفس صفات يتلون بها القلب ليس من كسب المريد ،ولا من إختياره بل هي مواهب من عند الله كالسرور والحزن والطرب و الإبتهاج والشوق و الإنزعاج أو الرجاء و الخوف والقبض والبسط والهيبة والأنس[4].

ومن أهم وأشهر المصادر في ميدان التصوف السني المقيد بالكتاب والسنة كما أوردنا خطواته "الرسالة" لمؤلفها أبي القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري(465هـ/1073م)،وكتاب "إحياء علوم الدين" لأبي حامد الغزالي(505هـ/1111م)[5].

ثانياً: التصوف الفلسفي

---

[1]- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي،إحياء علوم الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1406 هـ/1986م، ج1 ص83.

[2]- نفسه،ص83.

[3]- ابن خلدون، المقدمة، ص296.

[4]- ابن خلدون،شفاء السائل،ص40.

[5]- نفسه ، ص48.

نشأ هذا النوع عن إهتمام الصوفية لعلوم المكاشفة إلتماساً لمعرفة الله، واكتساب علومه،والوقوف على حكمته وأسراره، والإطلاع على حقائق الموجودات، فظهرت منذ القرن الثالث الهجري/التاسع ميلادي عدة نظريات صوفية فلسفية تباينت في كيفية الوصول إلى هذه الأهداف[1] فكان ذو النون المصري (ت245هـ/859م) أول من ادخل مدرك العرفانية في التصوف الإسلامي[2]، أي معرفة الله بكل ما في النفس من حدس وعاطفة وخيال[3]، ثم بعده جاء أبو زيد البسطامي (ت270هـ/875م) بنظرية الفناء أي فناء الإنسان عن نفسه وفقدانه الشعور بذاته مع الله[4].

وعن طريق نظرية الفناء توصل بعض الصوفية إلى القول بنظرية الحلول والإتحاد التي تزعمها الحسين بن المنصور الحلاج(ت309هـ/922م)، أي حلول الذات الإلاهية في المخلوقات ،وإتحاد طبيعة الإنسان والطبيعة الإلاهية حتى تصير حقيقة واحدة[5].

إلا أن نظرية الحلول والإتحاد رفضها كثير من المتصوفة والفلاسفة وجاء أبو نصر محمد الفرابي (ت339هـ/950م) بنظرية الإتصال أي تجاوز النفوس عالم الحس إلى عالم الشهادة الحقيقية عن طريق التأمل العقلي أولاً ثم المجاهدة النفسية ثانياً[6].

أما نظرية الإشراقيين فيرى أصحابها: "أن الوصول إلى معرفة حقائق الوجود يتم عن طريق النور الذي يقذفه الله في قلب عبده بعد تطهر النفس، ويعتبرون الله والملأ الأعلى أي عالم الأرواح

---

[1]- ابن خلدون،المقدمة،ص296.

[2]- توفيق الطويل، في رحاب التصوف الإسلامي، مقال في مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت،ع87، 1405هـ/1985م، ص175.

[3]- محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار النهضة العربية، ط2، بيروت،د-ت، ص79.

[4]- توفيق الطويل، المرجع السابق، ص189.

[5]- توفيق الطويل، المرجع السابق ، ص186.

[6]- طاهر بونابي، التصوف في الجزائر، ص40.

جوهراً روحانياً من نور ،فيكون وصول المعرفة الطاهرة من خلال النور الواصل من عالم الأرواح[1].

و من أشهر رواد هذه المدرسة الصوفية في ق5هم11م،أبو الحسن بن عبد الله المعروف بابن سينا(ت428هـ/1037م)، الذي تناول نظريته الإشراقية في كتابه "الإشارات والتنبيهات"[2] كما صنف شهاب الدين يحي بن حبش السهروردي(ت580هـ/1191م) خلال القرن 6ه/12م كتابين هما:"حكمة الإشراق"و" هياكل النور"، إستعرض فيهما آراءه الإشراقية[3].

وخلال القرنين 6هـ و7 هـ /12-13م ركز جمهور من الصوفية أكثرهم أندلسيون على الإعتناء بعلوم المكاشفة، وجعلوها علوماً إصطلاحية بينهم، فرتبوا الموجودات على ما انكشف لهم،فأصبح علم التصوف عندهم يختص في البحث عن طريق العلوم المصطلح عليها المؤدية إلى كشف أسرار الملكوت وحكمته ،وإظهار حقائق الموجودات عن طريق العقل،فإذا عجزوا أو طولبوا بالبرهنة عليها لجؤوا إلى الوجدان أي المجاهدة النفسية[4].

حيث نزع أصحاب هذا الإتجاه منزعاص فلسفياً إنقسم إلى إتجاهين:إتجاه تزعمه أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قسي(ت638هـ/1141م)،وعبد الله محمد بن علي الحاتمي المعروف بابن عربي(ت638هـ/1240م)[5]،والذين ذهبوا إلى القول بوحدة الوجود[1].

---

[1]- فليب حتي،الإسلام منهج الحياة،تر:عمر فروخ،دار العلم للملايين،بيروت،ط2، مارس،1997م،ص130.

[2]- يحدد ابن سينا عدة مراحل يسلكها الصوفي لبلوغ مرتبة ما تعرف بالوصول،حيث يبدأ بتطويع الإرادة والإعتياد على رياضة النفس من خلال المجاهدة النفسية، حتى تتطهر النفس ويحصل لها تلطيف السر، يتبعه شروق الأنوار الإلهية على شكل خلسات كأنها بروق، تومض تسمى عندهم بالاوقات وكل وقت يكتنفه وجدان،أبو الريان،مرجع سابق،ص،ص:330،331.

[3]- طاهر بونابي، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين 14-15 الميلاديين، أطروحة دكتوراه، قسم تاريخ، جامعة الجزائر، 1429هـ / 2008-2009م، ص40.

[4]- ابن خلدون، شفاء السائل، ص-ص:50،51.

[5]- ابن خلدون،المقدمة،ص297.

أما الإتجاه الثاني فذهب إلى القول بالوحدة المطلقة[2]، ومن أشهر رواده:أبوعبد الله الشوذي الحلوي (ت:أوائل ق7هـ/13م)، وتلميذه إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق المعروف بابن المرأة(ت610هـ/1214م)،وأبو الحسن بن عبد الله النميري الششتري(ت688هـ/م1269[3].

من خلال عرضنا السابق لأنواع التصوف عند المسلمين،والذي إكتفينا فيه على ذكر المشارب الصوفية وإتجاهاتها التي كان لها دور كبير في نشأة الحركة الصوفية بالمغرب وتطويرها، إضافة إلى تأثيرها على كافة وقائع جوانب الحياة الإجتماعية خلال القرنين 6و7هـ /12و13م نستخلص أن القرون الثالث والرابع والخامس الهجرية تمثل العصر الذهبي للتصوف السني و الفلسفي بالمشرق،في حين يمثل القرنان السادس والسابع الهجريين تطوراً كبيراً لنظريات التصوف الفلسفي القادمة من الأندلس والمغرب[4].

المطلب الثاني: التصوف في بلاد المغرب الإسلامي

---

[1]- يمكن تلخيص فكرتهم بأنه لا يوجد إلاّ وجود الله بصورة ماهي عليه الموجودات في أنفسها وخصائصها، مستندين إلى الحديث القدسي:"كنت مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق ليعرفوني "ابن خلدون،شفاء السائل، ص ص:51،50.

[2]- يرى أصحاب هذا الإتجاه أن الوجود واحد وهو وجود الله، وسائر الموجودات وجودها عين وجود الله، فهي غير زائدة عليه بوجه من الوجوه، فوجود الله مطلقاً ما كان وهو كائن أو ما سيكون، ابن خلدون، شفاء السائل، ص52.

[3]- ابن خلدون، المقدمة، ص297.

[4]- الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر، ص44.

بالرغم من كون التصوف جاء نتيجة تطور الزهد على نحو ما حدث في المشرق الإسلامي لم يكن من اليسير تحديد بداية قاطعة لبدء التصوف في المشرق الإسلامي، فإن تحديد مثل هذه البداية للتصوف في بلاد المغرب أشد صعوبة وأبعد منالاً.

وترجع صعوبة تحديد بداية قاطعة لظهور التصوف في بلاد المغرب الإسلامي إل عدة عوامل منها إختلاط المتصوفة بالزهاد إختلاط في بلاد المغرب وقت ظهور التصوف فيها واستمرار تواجد الزهاد والمتصوفة المغاربة وتشابه كثير من أنشطتهم في الحياة المغربية، لاسيما أن المغاربة كانوا يستخدمون مسميات واحدة للدلالة على كل من الوهاد والمتصوفة وقت ذلك ،فكانوا يطلقون على سبيل المثال مسمى العُبّاد على الفريقين معاً وينعتونهم بكثير منالصفات المشتركة كالصلاح والورع والإجتهاد في العبادة،ويصبغون الولاية على نفر من الفريقين دون تفرقة مما يجعل من الصعوبة بما كان إتخاذ هذه المرتبة أساس للتفرقة بين الفريقين في كثير من الأحيان[1].

إلا أنه وعلى الرغم من تلك الصعوبات يمكن القول أن بداية التصوف في بلاد المغرب الإسلامي لم تتأخر كثيراً على مثيلتها في بلاد المشرق الإسلامي[2]، وبلاد المغرب منذ الفتح الإسلامي لها كانت ولا زالت مرآة عاكسة لمشرقها على إختلاف ما كانت تعكسه سواء كان يشمل الجانب الحانب السياسي أو الجانب الديني فالمشرق الإسلامي كان المصدر الأول لبلاد المغرب في تصدير الفتوى والإمامة والمبايعة.

يقول ابن خلدون :"لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والإنقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها،والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه،والإنفراد على الخلق في الخلوة للعبادة وكان ذلك عام في الصحابة والسلف،فلمّا فشى الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعهدها

[1]- محمد بركات البيلي، المرجع السابق، ص90.

[2]- نفسه، ص91.

وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا وإختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية و المتصوفة[1]،ظهرت بدايات التصوف في المغرب قبل الإنحراف من خلال العبادة والإنقطاع والإقبال إلى الله سبحانه وتعالى،والبكاء عند سماع المواعظ وقراءة القرآن، وهذه أبرز سمات الزهاد الأوائل[2].

وعلى سبيل المثال لا الحصر فقد أشارت المصادر التاريخية أنّ الزهاد كانوا يقتدون بالصحابة فعملوا على حثّ الناس على الإقتداء بالكتاب والسنة، وكانوا يشاركونهم حياتهم ويقومون بدور فعال في توجيه المجتمع وإصلاحه ويحثون على الجد والعمل.

كذلك من أهم أوائل المتصوفين في بلاد المغرب أحمد بن معنب بن الأزهر المكنى بأبي جعفر (ت277هـ/890م)،كان فاضلاً قال عنه أبو العرب:"هو الذي مات من ذكر الله"، وقي عن سبب موته أنه سمع شيئاً من أولئك القراء،فصاح صيحة ثم خرّ وانبعثت الزبد من فيه، واحتمل في نعشه إلى داره، وكانت له صلاة طويلة بالليل وبكاء حتى يسمع جيرانه بكائه وكل هذه الصفات جعلته من الزهاد ،وكبار المتصوفة عبر تاريخ المغرب الأسلامي[3].

وكذلك من أعلام التصوف وعلمائه الذين تولوا مهمة التدريس، الحسن بن علي المسيلي رفقت زميله الاشبيلي والحرالي، الذين حافظوا على مستوى معين من التعليم العالي، فكانوا يدرسون التفسير، الحديث، الفقه، والأصول في الشتاء، والفرائض، الحساب، علم البيان والأصول، وكان يوم الخميس والجمعة يخصص لتدريس التصوف، ومراجعة مؤلفاته وتصحيحها وتنقيحها[4].

---

[1]- لمياء عز الدين الصباغ،الصوفيون والتصوف حتى القرن الرابع هجري، مقال في مجلة كلية العلوم الإسلامية،ع: (1/14) مج7،1434هـ/2013م،ص09.

[2]-نفسه، ص10.

[3]- نفسه، ص11.

[4] -عبد المنعم القاسمي، أعلام التصوف في الجزائر (منذ البدايات الى غاية الحرب العالمية الأولى)، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1427هـ/2007م، ص.ص 26-27.

ان وجود أعلام صوفية تميزوا بتكوين نفسي وعلمي كبير، قد ساهم في نشر التصوف بكامل المغرب الاسلامي، فمؤلفاتهم وطريقة عيشهم كانت مثالا يقتدى به من العامة[1].

لقد تطور التصوف الى علم ونظام شديد في العبادة، وصار اتجاها نفسيا، وعقليا وسلوكا وعملا وعبادة، وأصبح يعد بوجه عام فلسفة حياة وطريقة معينة في السلوكات يتخذها المتصوف لتحقيق كمال أخلاقي ومعرفة بالحقيقة والسعادة الروحية [2]

عرف المجتمع المغاربي تراجعاً كبيراً سواء من الخاصة أو العامة فقد أهملوا الكثير من المبادئ الدينية والقيم الأخلاقية والسلوك القويم،وقد حارب الصوفية هذه الإنحرافات وقاوموا بكل السبل والوسائل هذه الإختلالات،فكان نتيجة ذلك إنتشار المذهب الصوفي[3]، ويلخص لنا الأستاذ يحي هويدي بقوله:"ففي هذه القرون التي عقبت تفكك الموحدين وسقوط دولتهم ...سرت في جميع أنحاء المغرب روح عربية جعلت الشعب يقبل إقبالاً لم يعرفه من قبل على أمور المجاهدة والكشف، والكشف ينخرط في الزوايا و الربط ويؤمن بالأولياء وكراماتهم... وتشكل بهذا الطرق الصوفية التي ملأت البلاد من أقصاه إلى أقصاه"[4].

والاستنتاج الذي يمكن إستخلاصه مما سبق هو أن ظهور التصوف يرجع إلى الزهد كونه النواة الأولى فالعكوف على العبادة والإنقطاع إلى الله تعالى لقراءة القرآن أو سماع الموعظة أو قضاء الليل في العبادة ومناجات الله تعالى مع الإعراض عن الدنيا بشهواتها من مال وجاه والإنفراد عن الخلق في الخلوة بالطاعات كالعبادات أكسب المقبلين عليها إختصاص باسم المتصوفة والصوفية[5].

---

[1]- احسان الهي ظهير، المرجع السابق، ص28.

[2] -ابن الخلدون، شفاء السائل، ص26.

[3]- ملياني فاطمة، زروقي حبيبة، الزهد زالتصوف في المغرب الأوسط على العهد الموحدي(6-7هـ/12-13م)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر،كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، تيارت،2015 /2016م، ص25.

[4]- عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص-ص:30،31.

[5]- ملياني فاطمة زروقي حبيبة، المرجع السابق، ص26.

ومن أهم المتصوفة الأوائل رباح بن يزيد اللخمي المكنى بأبي يزيد(172هـ/788م) كان رجلاً صاحاً،مشتهراً بالفضل والزهد،متعبداً تقياً مستجاب الدعوة والمنقطع إلى الله تعالى بالعبادة، وقيل عنه:"كان إذا دخل الشتاء أخذ في البكاء رحمة للفقراء"، وكان يوصي بكتاب الله وينصح بالإلتزام به،وفي رسالة إلى البهلول بن راشد يقول له: "واستعن بكتاب الله عز وجل وكثرة ذكره وتلاوته فإنه الشفاء والرحمة للمؤمنين"[1].

عبد الخالق المعروف المكنى بأبي خالد (يقول أبو العرب كانت وفاته بعد وفاة البهلول بن راشد بسنتين فالبهلول مات سنة 183هـ/799م، فتكون وفاته سنة 185هـ/801م)، عرف باجتهاده في العبادة وغلبة الخوف عليه وخاصة من الله تعالى، وهو من أصحاب البهلول بن راشد يقول أبو العرب: "ما علمت أنه روي عنه علم غير مناقبه و فضائله"[2].

[1]- لمياء عز الدين الصباغ، المرجع السابق، ص09.

[2]- نفسه، ص10.

الفصل الثاني
الصراع الفقهي الصوفي في بلاد المغرب الإسلامي

الأول:عوامل واسباب الصراع بين الفقهاء والمتصوفة

المطلب الأول:العامل السياسي

عرف المغرب الأوسط خلال القرنين 6-7هـ/12-13م،إختلافا من حيث طبيعة التعامل وتقبل الحاشية الحاكمة أتحاة شريحة الصوفية،وهذا إختلف من دولة إلى أخرى بناءً على أوضاعها السياسية والإقتصادية، وإعتباراتها العقدية والمذهبية[1].

يمكننا القول بأن الصدام الأول بين الصوفية والفقهاء كان خلال فترة حكم الحماديين،فبداية لاحماديين الذين سلكوا سياسة الإنفتاح والتي طبعت الحياة الإجتماعية والدينية بطابع من الحرية تكاد تكون مطلقة[2]، الأمر الذي جعل صوفية المغاربة والأندلسيين يلجؤون إلى حواضر مملكة الحماديين ،لّما إشتدت بهم النوائب،خاصة بما عرف بفرارهم من متابعة المرابطين وفقهائهم[3].

بالرغم من كون هؤلاء المتصوفة مثلوا إختلافا فكرياً وشكلياً وحتى من جانب المضمون عن الحماديين سواء من الجانب السياسي أو الإجتماعي،خاصة وأن الترف كان الميزة البارزة على المجتمع الحمادي،إلا أن التصادم بمعناه الحقيقي لم يحدث بين الطرفين، وهذا لا يعني بأن السلطة غضت الطرف عن الصوفية، وكان الإهتمام مسلطاً عليهم من الفقهاء الذين كانوا يراقبون نشاط الزهاد وأفكارهم التي تشد إنتباه العامة،أو تمس السلوكات والعادات الحمادية[4].

إضافة إلى أنه يمكننا القول بأن الصوفية هددوا مكانة الفقهاء خاصة من خلال تعاطف السكان معهم، أما بالنسبة إلى المرابطين الذين عرفت دولتهم بدايات القرن6هـ/12م إضمحلالا

---

[1] -الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر، ص192.

[2] -أبو بكر علي الصنهاجي البيدق، أخبار المهدي بن تومرت، تق وتح وتع:عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1986 ط1، ص36.

[3] - ابن الزيات التادلي أبو يعقوب يوسف، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح: اودلف فور،مطبوعات إفريقية الشمالية، الرباط،1377هـ/1958م، ص78.

[4] - ابن خلدون، العبر، ج3، ص387.

إقتصاديا وتقهقراً سياسياً وإدارياً،وإنحلالا أخلاقياً،وتمايزاً طبقياً[1]، جعل الفقهاء ينبهون أمراء الدولة وولاتها إلى خطورة أشكال السلوكات التي يستخدمها الصوفية لتعرية الواقع المتأزم.[2]

إن توسع الحركة الصوفية ساهمت في تطوير مخاوف المرابطين الذين إعتمدوا سياستين لدرء خطرهم:سياسة الإحتواء وسياسة المواجهة، وتمثلت سياسة الإحتواء إقتناع ولاة المرابطين بأن مقارعة الصوفية،وضرب نفوذهم الروحي غير ممكن في ظل الأوضاع السيئة للدولة ،لذا سعوا لمهادنتهم وإحتواء نفوذهم وخير دليل على ذلك زيارة والي تلمسان "بن تلكان" إلى الصوفي عبد السلام التونسي ومشاركته في طعامه الذي لا يزيد عن خبز الشعير ولحم السلحفاة[3].

لكن هذا التزييف في المعاملة لم يلقى صدى لدى المتصوفة وخير دليل على ذلك دعوة هذا الأخير لتلامذته إلى عدم قبول وظائف الدولة وطالبهم بمقاطعتها[4]،كما وإنتقد إفلاس الولاة حينما اعترض على والي تلمسان تميم بن يوسف بن تاشفين الذي أخذ سلفة من احباس مسجد تلمسان[5]،هذا مادفع بالمرابطين إلى تغيير سياستهم من الإحتواء إلى المواجهة، معتمدين على الدسائس والمناورات مستخدمين في ذلك الفقهاء،بحيث أخذوا يراقبون تحركات الصوفية، ومنعوا وصول الرسائل بينهم،وعمدوا إلى تشويه كتاب الإحياء بإعتباره مخالفة للسنة،وذلك من اجل تفجير تيار الغزاليين ومطاردة أنصاره من الصوفية[6]، لكونه يحمل في طياته خطاباُ مملوءاً بالإنتقاد لجميع السياسات المرابطية.

فمثلا ورد كتاب"إدرارات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم"، تحريم الغزالي مطلقاً للخراج المضروب على المسلمين،وكل المصادرات وأنواع الرشوة،وهو ما تنافى مع سياسة المرابطين

[1]-محمد القبلي،المرجع السابق،ص38.
[2]-الطاهر بونابي، الصوف في الجزائر، ص193.
[3]-ابن الزيات ،المصدر السابق،ص08.
[4]-الطاهر بونابي،المرجع السابق،ص193
[5]-ابن الزيات،المصدر السابق،ص89.
[6]-الطاهر بونابي،المرجع السابق،ص197.

التي كانت قائمة على غنائم المعارك، الجزية، الخراج، أو ما يعرف بإقتصاد المغازي[1]، لذلك أعتبرت أموال السلاطين حراماً، مشيراً إلى مصادرها غير الشرعية[2]، وذلك إشارته إلى أن عطايا الحكام أختزلت في مؤيديهم دونما سواهم لقوله: "فأما الآن فلا تسمح نفوس السلاطين بعطية، إلا لمن طمعوا في إستخدامهم والتكثر بهم والإستعانة بهم على أغراضهم، والتجمل بغشيان مجالهم،وتكليفهم المواضبة على الدعاء والثناء والتزكية والإطراء في حضورهم ومغيبهم"[3]،وهو أمر كان شائعاً عند المرابطين،الذين أغدقوا الأموال على الفقهاء وخصصوهم بالإمتيازات[4].

نستنتج مما سبق ذكره بأن الصراع بين المتصوفة وبين الحكم لم يكن في الواقع إلا ستاراً لصدام خفي كان طرفاه الفقهاء الذين لعبوا دور عنصر المقاومة إستنادا إلى ما ذكره الغزالي فيما سبق والمتصوفة الذين رفضوا الأوضاع السائدة في المجتمع خاصة السكوت الذي ميز الفقهاء والذي كان في نظرهم غير ذلك،كون الفقهاء كانوا يمثلون في أصل تسميتهم ملاذ الناس لمعرفة تسيير الخالق للخلق[5]،وهنا لم يتقبل الفقهاء هذا الإتهام كونهم يعتمدون مبدأ عدم الخروج عن طاعة القلي،فأرادوا الرد عليهم دونما أيديهم في الأمر،خاصة بعدما تغيرت سياسة الخلفاء إتجاه المتصوفة،فأصبحت مفعمة بالود والإحترام وتبجيل الصوفية[6]،فخصصوا لهم رواتب ضمن الشرائح الإجتماعية التي لا تتولى أي حرفة أو خطط إدارية[7]،وكل هذا كان الصوفية ينفقونه على المعوزين وأبناء السبيل من المسلمين والمسلمات[8].

---

[1]-الغزالي،المصدر السابق،ج2،ص148.

[2]-نفسه،ص149.

[3]-نفسه،ص152.

[4]-المراكشي،المعجب،ص171.

[5]- الغزالي،المصدر السابق،ج2،ص120.

[6]-يحي بن خلدون،المصدر السابق،102.

[7]-عزالدين احمد موسى،النشاط الإقتصادي بالمغرب خلال القرن 6ه،دار الشروق،بيروت،1403ه/1993م،ط1،ص344.

[8]-يحي بن خلدون،المصدر السابق،ج1/،ص102.

إن إهتمام الموحدين بالصوفية لم يخلو من أهداف سياسية وأغراض مذهبية مرادها كسب العامة ،لأن الأحسان إلى الصوفية هو غرضاء لشعور العامة،نظراً للعلاقة الكبيرة بينهما هذا ما دفع بالفقهاء إلى إتخاذ إجراءات وقائية إتجاههم فأخذوا ينبهون الخلفاء الموحدين وأمرائهم إلى خطورة ما يطرحه الصوفية ومن تنامي شعبيتهم[1].

المطلب الثاني:العامل الديني

إن الحديث عن العلاقة بين المتصوفة والفقهاء لا يمكن أن تخلو من مظاهر الصراع ،هذا الأخير بلغ عنوانه بوصول كتاب"إحياء علوم الدين "لأبي حامد الغزالي إلى المغرب الأوسط الذي جاءت نصوصه نقداً لاذعاً لوضع الفقهاء ومكانتهم المادية والأدبية،فهو يقول في حق من حصر وظيفته في الفتوى والأحكام الظاهرة، وجردوه من كل عمل إلى الآخرة "إنهم إقتصروا على علم الفتاوي في الحكومات والخصومات، وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح العباد، وخصصوا الفقه لما سموه الفقه وعلم المذهب، وربما ضيعوا مع ذلك الأعمال الظاهرة والباطنة، فلم ينتقدوا الجوارح،و لم يخرسوا اللسان عن الغيبة ولا البطن عن الحرام"[2].

كذلك انتقدهم في أمر آخر بقوله:"لو سئل فقيه عن معنى هذه المعاني حتى عن الإخلاص،أو عن التوكل أو عن وجه الإحتراز عن الرياء،لتوقف فيه مع أنه فرض عيني الذي في إهماله هلاطه في الآخرة،ولو سألته عن اللعان والظمار والسبق والرمي لسرد عليك مجلدات في التفرعات الدقيقة التي تنقض الدهور ولا تحتاج إلى شيء منها"[3].

[1]-الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر، ص202.
[2]- الغزالي، المصدر السابق، ج3، ص381.
[3]-نفسه،ج1، ص32.

كما وقد إنتقدهم بخصوص توظيف علمهم في كسب الدنيا وتحقيق الجاه والمترلة عند أهلها[1]،زد على ذلك مداهنة الفقهاء للحكام والتقرب منهم لنيل الحظوة عندهم،مع أنه دعاهم في عديد المرات إلى إجتناب مخالطة السلاطين والتقرب منهم كون ذلك يؤدي إلى فساد المجتمع وهذا كله مسؤوليتهم في نظر الغزالي،لذلك بين لهم مصيرهم في الآخرة بمقولة مشهورة "العلماء يحشرون في زمرة الأنبياء، والقضاة يحشرون في زمرة السلاطين"[2].

وفي المقابل إنتقد الفقهاء مظاهر التقشف والزهد التي كانت بادية على الصوفية وكذلك إعتراضهم على إقتصار السلفية في إستعراض المسائل الفقهية دون إستنباطها[3]، وذلك مثلما حدث للفقيهين أبي بكر وأبي محمد ابن مخلوف على الصوفي عبد السلام التونسي في مجلس درسه بتلمسان.

بغض النظر عن الخلفيات السياسية التي إنطلق منها فقهاء الفروع باعتبار ما جاء في الإحياء يهدد مكانتهم الإجتماعية والسياسية،فإن جوهر الصراع أعمق يتعلق بالأخلاق من حيث الإختصاص ،فالفقهاء إختصوا بالفتوى والأحكام العامة في العبادات والمعاملات،بينما الصوفية تميزوا بالمجاهخدة ومحاسبة النفس والكلام في الأذواق[4]،وهذا معناه أن الفقهاء إختصوا بعلم الظاهر في حي ن أن المتصوفة إختصوا بعلم الباطن.

كذلك وقد تميزت هذه الصراعات بالعداء بسبب نظرة الفقهاء إلى متصوفة الإشراق ووحدة الوجود، والوحدة المطلقة،على أنهم خارجون عن الشريعة بل وزنادقة كفرة[5]، فهاتان الفئتان اللتان تقومان على ركيزة واحدة هي الدين القويم، ولهما هدف واحد، إيصال وتبسيط الدين للعامة من الناس ودعوتهم للتمسك به.

---

[1]-الغزالي، المصدر السابق، ج3، ص73.

[2]-نفسه، ج1، ص76.

[3]- ابن الزيات، المصدر السابق، ص98.

[4]- الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر، ص209

[5]- الغبريني ، المصدر السابق، ص69

ومن بين القضايا التي أثارت إحتكاكاً كبيرا بين الصوفية والفقهاء والتي كانت من أهم القضايا عند المتصوفين هي قضية كرامات الأولياء[1]، فالفقهاء كانوا ينفون ثبوت الكرامات والخوارق للأولياء،فهم كانوا يشترطون مجموعة من الأمور والملاحظات على صاحب هذه الخوارق، فهل صاحبها ولي من أولياء الله أم هو ولي من أولياء الشيطان[2].

كذلك قولهم لا يجوز كون هذه الكرامات لغير الأنبياء عليهم السلام،لأن الأنبياء مخصوصون بذلك،والآيات والمعجزات والكرامات واحدة،وإنما سميت معجزات لإعجاز الخلق عن الإتيان بمثلها،فمن أثبت من ذلك شيئا لغير الأنبياء عليهم السلام فقد ساوى بينهم و لم يفرق بين الأنبياء بينهم[3]،في حين يرى الفريق الثاني بوجود الكرامات من وقت الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام رضي الله عنهم مستدلين بحكاية كرامة أبي بكر رضي الله عنه مع ضيوفه،إضافة إلى كرامات بعض الصحابة في أحاديث الصحاح.[4]

المطلب الثالث :العامل الإجتماعي

عرف المجتمع المغاربي بداية من القرن 06 للهجرة أزمات إجتماعية وأخلاقية عميقة خاصة بعد وفاة الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين (ت500هـ-1106م)،حيث إتسعت الهوة بين طبقات المجتمع المغاربي وبروز طبقة عريضة من الفقراء والمحرومين والتي في ظل تجاهل الفقهاء لوضعيتهم لم يجدوا إلا الصوفية ملاذا لهم.[5]

[1]-بشير ابراهيم التليسي ، الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الاسلامي خلال القرن 4ه و10م ،دار المدار الاسلامي بيروت،2003، ط1، ص461

[2]-يوسف اسماعيل النبهاني ، جامع كرامات الاولياء، تح ابراهيم عطوة عوض، مركز اهل السنة، الهند ،2001، ط1 ، ج1 ص18

[3]-سراج الطوسي ، المصدر السابق، ص393

[4]- يوسف اسماعيل النبهاني، المرجع السابق، ص128

[5]- ملياني فطيمة وآخرون، المرج السابق، ص25

إن إنتشار البذخ والترف عند طبقات معينة نتيجة الثراء الفاحش[1] ،كان له إنعكاس على الوضع العام،خاصة في ظل مظاهر الترف والإستمتاع التي ميزت فقهاء المرابطين مما أثر مباشرة على مشاعر الطبقات الشعبية الكادحة[2]، الأمر الذي لم يتقبله المتصوفة خاصة مع نظرتهم إلى الفقهاء كونهم في حقيقتهم الدرع الذي يحمي العامة وهو واجبهم نظراص لطبيعة فكرهم والعلم الذي يحملونه في صدورهم خاصة وأنّ الدولة الممثلة في حكامها الذين كان الفقهاء هم مستشاريهم الخواص لم تعمل على معالجة الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية والأخلاقية المتردية،وتركت الأمور على حالها[3]،وهوالأمر الذي أثار حفيظة المتصوفة الذين عابوا على الفقهاء بقاءهم مكتوفي الأيدي أمام هذا الوضع،وهم بإمكانهم تغييره.

إضافة إلى ذلك تراجع القيم الدينية والأخلاقية حيث أهمل الخاصة والعامة الكثير من مبادئ الدين وسلوكه القويم[4]، وهذا في ظل بقاء الفقهاء مكتوفي الأيدي وهم من يجب عليهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،لكن إشتغالهم بجمع الثروات والعيش الرفيه أنساهم مهامهم ،ليقوم الصوفية بمحاربة هذا الإنحراف [5]،إضافة غلى إتهامهم للفقهاء علانية بموالاة السلطة على حساب العامة فمقاومتهم لهذه الإختلالات ألقت بظلالها على إنتشار مذهبهم[6]، ويلخص ذلك الأستاذ يحي هويدي في قوله: "ففي هذه القرون التي أعقبت سقوط الموحدين وتفكك دولتهم....سرت في جميع أنحاء المغرب روح عربية جعلت الشعب يقبل إقبالهم يعرفه من قبل على أمور المجاهدة

[1]-عبد العالي بوعلام، الدور الثقافي والديني للطرق الصوفية والزوايا في الجزائر، مجلة الواحات للبحوث والدراسات العدد15،المركز الجامعي ،غرداية،الجزائر ،2011، ص464

[2]-عبد المنعم القاسمي الحسني، المرجع السابق، ص30 .

[3]- نفسه، ص30

[4]- عبد العالي بوعلام، المرجع السابق، ص464

[5]- نفسه، ص464

[6]- مليابي فطيمة واخرون، المرجع السابق، ص25

والكشف ينخرط في الزوايا والربط،ويؤمن بالأولياء وكراماتهم.....وتشكل بهذا الطرق الصوفية التي ملأت البلاد من اقصاها إلى أقصاها"[1].

إن هذا الأمر دفع بالفقهاء إلى غتخاذ تدابير وقائية بعد أن أدركوا أن مكانتهم في خطر من طرف المتصوفة،فأصبحوا يعتمدون على قربهم من الحكام في تشويه صورهم سواء امام الأمراء أو حتى العامة،فاتهموهم بضعف علمهم الشرعي خاصة ضعفهم في ما يخص الفقه المالكي الذي كان فقه الدولة آنذاك،خاصة في عملية نقل آراء الإمام مالك[2].

[1]- عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص31

[2]- نفسه، ص31

المبحث الثاني:مظاهر الصراع الفقهي الصوفي في بلاد المغرب

المطلب الأول:الصراع الفكري

تجلت مظاهر الصراع الفكري بين الفقهاء والمتصوفة بشكل كبير في مجال التأليف ،حيث لم يكن من اللائق لكل من الفئتين بحكم مكانتيهما الإجتماعية والدينية الصراع العسكري،بل كان عبارة عن كتابات وتأليفات تنتقد وضع الفئة الأخرى تقابلها كتابات مضادة[1]،وأبرز مثال على ذلك كتاب الإحياء للإمام الغزالي ،هذا الأخير الذي جاء وفي جعبته نقد لاذع للفقهاء ،ووضعهم الإجتماعي والحياة التي كانوا يعيشونها في ظل تناسي حالة العامة والإشتغال بجمع الثروات وإتباع الولاة والعمل على خدمة مصالحهم بشكل يتعارض مع التشريعات الفقهية والقوانين الدينية[2]،هذا الأمر دفع بالعلماء والفقهاء إلى نقل مسألة هذا الكتاب إلى مجلس الأمير علي بن يوسف بن تاشفين سنة 503هـ[3].

لقد ندد الفقهاء ببطلان ماجاء في هذا الكتاب وقاموا بالرد على مسائلهم وتصحيح ما تناولته،وأفتوا بمنع تداولها ،ثم سعوا إلى مصادرة كل النسخ وإحراقها لتفادي إنتشار الفتن داخل المجتمع المغاربي[4]،وقد تم ذلك بالفعل بعدما صدرت أوامر أمير المسلمين بمصادرة كل النسخ وحرقها،وتم ذلك في أفنية المساجد الكبيرة بكل مدن المغرب[5].

---

[1]- محمد البيلي، المرجع السابق ،ص91

[2]-شعيب زهرة واخرون، العلاقة بين المالكية والاشاعرة والصوفية بالغرب الاسلامي القرن 1 -8هـ/ 7م-14م ،مذكرة ماستر ، قسم تاريخ، جامعة ابن خلدون تيارت ،1437هـ-1438هـ/2016م-2017م،ص119

[3] -سلمى الخضراء الجيوسي ،الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ،1999 ط2، ج2 ،ص1200

[4]-محمد محمود عبد الله بن بيه ،الاثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين ،دار ابن الحزم ،نشر وتوزيع 1461ه/2000م،ط1 ،ص212

[5]- حسن علي حسن، الحضارة الاسلامية في المغرب والاندلس عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، مصر 1980، ط1، ص451

وعندما تم ذلك قام الموحدون والذين كانوا يسعون إلى الوصول لكرسي الحكم بتعليق لافتات منتقدين فيها قرار أمراء المرابطين ومنددين بخطئهم عندما منعوا مؤلفات الشيخ أبو حامد الغزالي من الوصول إلى أيدي الناس[1]، مرتكزين على ذلك في دعوتهم التي كانت قائمة على الإصلاح الديني في أساسها.

وفي جملة ردود الفعل حول هذه المسألة إختلاف الآراء فيما خصها ،فمن جهة المعارضين لهذه المسألة وقد إعتبروها إساءة للإمام بحد ذاته[2]، فاقد رأوا بأن مكانة هذا الشيخ وعلمه حتى وإن أخطأ في أمر ما لايمكن أن يعامل بهذا الشكل والقدر من التحقير والإزدراء، في حين قال من وافق على هذه الحادثة بأن ما جاء به هذا الكتاب قد عمل على نشر الفتنة والدعوة إلى الخروج عن طاعة الحكام، ولكن حقيقة الأمر هي تخوف الفقهاء من ثورة العامة ضدهم بسبب أفكارهم حيث سئل أحد الفقهاء عن مجموعة من الطلبة يطعنون في كتاب الشيخ الغزالي تلميذ إمام الحرمين أبي المعالي الحويني،ويشددون في إنكار على من أراد قراءته،وبالغ بعضهم في ذلك إلى أن قال:ليس ذلك إحياء علوم الدين ،وإنما هو إماتة علوم الدين[3].

إن أصداء هذه الحادثة بلغ مداها العالم الإسلامي،حتى وصلت للإمام الغزالي نفسه فقال في هذا الحدث: "اللهم مزق ملكهم كما مزقوه وأذهب دولتهم كما أحرقوه"[4]، وفي هذه المقولة رد واضح وقوي على إستنكار الإمام الغزالي لهذه الحادثة،فهي في رأيه إجحاف في حق العامة من الشعب وصدهم عن كسب المعرفة والعلم،إضافة إلى أنه إهانة لشخصه.

---

[1]- سلمى الخضراء الجيوسي ، المرجع السابق ،ج2، ص1200

[2]- احمد بن يحيى الونشريسي ،المعيار المغرب وجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والاندلس والمغرب ،اشراف محمد حجي دار الغرب الاسلامي ، بيروت،1401هـ/1981م، د.ط، ج12، ص184

[3]- شعيب زهرة واخرون ، المرجع السابق ، ص119.

[4]- الونشريسي، المصدر السابق ،ج12 ، ص186

إن مسألة إحراق كتاب الإمام الغزالي نالت حصة الأسد في الصراع بين الفقه والتصوف والذي كان صراعا فرضته طبيعة الفئتين ومكانتهما في أوساط المجتمع المغاربي،ومردّ ذلك إعتماد التيارات الصوفية السنية مبدأ المجاهدات وإعتبارها القلب المدرك الوحيد للحقائق الإلاهية،وليس العقل أو بالأحرى كافة التيارات التي إستمدت أفكارها من فلسفة أبي حامد الغزالي[1]، مثلت تهديداص للعقيدة التجريدية والتي هي أساس الحكم الموحدي[2].

لقد كان الفقهاء ينبهون الخلفاء الموحدون وأمرائهم إلى خطورة ما يطرحه الصوفية ومن تنامي شعبيتهم، لكي يضغطوا عليهم ويكون الفقهاء بعيدين عن مساهمتهم في تقويض حركة التصوف أمام العامة [3].

كذلك كان أبو مدين شعيب نموذجاص بارزاً لكشف وتحليل علاقة الفقهاء بولاة الموحدين خاصة في بجاية وخلال عهد الخليفة يعقوب المنصور(580هـ-595هـ/1184م-1198م)، التي ولدت جوراً سياسياً وفسادا في المجتمع، معبراً عن هذه العلاقة بقوله: "بفساد العامة يظهر ولاه الجور" وهو بذلك يحمل المجتمع نصيبه إضافة غلى الفقهاء في توفير مناخ الإستبداد السياسي[4].

إن الصراع الفكري كما سبق وذكرنا كان عبارة عن خطابات نقدية متبادلة بين الطرفين مرة من الفقهاء ومرة من الصوفية، وكذلك على مرأى السلطة والسلاطين خاصة ما ورد ودار حول كتاب الإحياء الذي أتى بالنقد اللاذع لأوضاع إسلامية شتى و لم يختص بوضعية معينة،وقد وجد في أوضاع الدولة المرابطية مناخاً انطبقت نصوصه على واقع الأزمة، فأعتنقه الصوفية خطابا

[1]- توفيق الطويل ، المرجع السابق ،ص176

[2]- ابراهيم القادري ،تاريخ الغرب الاسلامي(قراءت جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة)، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ،1994م ،ص107

[3]- الطاهر بونابي ، التصوف في الجزائر ،ص201

[4]- احمد بابا التنبكتي ، ميل الابتهاج بتطريز الديباج ،مطبعة السعادة ،مصر ،1329هـ، ص129

سياسيا لتعرية الواقع ،فقد كان عبد السلام التونسي أحد المناصرين للإحياء يصف حال والي تلمسان بالخبيث إشارة غلى مصادره غير الشرعية[1].

حتى في مسألة الشطحات والسماع بين الصوفية والمالكية فكان الفقهاء مختلفين في الرأي حولهم،البعض رأى بأنها بدعة محدثة في الدين فقد طالت الإمام البصيري رحمه الله في ذلك :"إن ذلك لم يكن من عمل الصحابة ولا التابعين،مالم يكن عليه عمل السالف الصالح فليس من الدين"[2]،أما الإمام الشافعي فلم يحرمه في كتاباته وإنما جعله مكروها فهو في نظره يسقط المروءة ويلحق الشخص بالمحرمات[3].

كانت المناظرات من بين أوحه الصراع الفكري بين الفقهاء والمتصوفة خاصة الفقهاء المالكية،ظهر هذا النوع من التصادم وأرتبط بما عرف "كرامات الأولياء" فالواقع أنها من القضايا الهامة المتعلقة بالموقف العام من التصوف والصوفية،فقد حصل جدل ونقاش حاد بين الطرفين عرف من التطورات ما خرج به عن نطاق بلاد المغرب لتشارك فيه أطراف اخرى في المشرق ويمتد تأثيره إلى الأندلس[4].

يتبين من خلال إنتشار الموضوع وتشعبه في كامل أقطار العالم الإسلامي دلالة على أهميته الكبرى،بأن له جوانب تؤكدحقيقة العلاقة بين الصوفية والفقهاء وبالأخص الفقهاء المالكية ونظرتهم إلى التصوف[5]،لقد كان الفقهاء ينفون فكرة الكرامات والأولياء ويحصرونها في الأنبياء والرسل فقط، وذلك ليفرق الله بين الأنبياء عليهم السلام والعامة من الشعب وهم أيضاً يرون بأن

---

[1]- ابن الزيات، المصدر السابق ،ص89

[2]- الونشريسي ،المصدر السابق ،ج11، ص40

[3]- ابي القاسم عبد الكريم ابن هوزان القشيري النيسبوري ،الرسالة القشيرية في علم التصوف، تح: عبد الحليم محمود بن شريف ، دار الشعب ، القاهرة ،1409هـ/1989م ،ص547

[4]- شعيب زهرة واخرون ، المرجع السابق ، ص126

[5]- بشير رمضان التليسي ، المرجع السابق ، ص461

الكرامة حجة في الدعوى لبعض من يبتغي الكفر والفجور،فالآيات والمعجزات سميت كذلك لإعجاز الخلق عن الإتيان بمثلها[1].

لا ريب في أنه هناك تباين بين لبفقهاء واهل التصوف من حيث منهجهم في السلوك والتفكير،فالفقهاء يعطون أولوية للفقه أو القوانين الشرعية،في حين المتصوفة يعطون الأولوية لمجاهدة النفس ومحاسبتها ،وهذا كان جلياً في صراع الأفكار بين الفئتين[2]

المطلب الثاني:الصراع السياسي

إن الحديث عن هذا الصراع يتجلى في طبيعته بالقرارات التي أصدرها السلاطين والولاة في حق المتصوفة بتحريض من الفقهاء الذين كانت لهم خاصة و إمتيازاتهم في بلاط الحاكم[3]، مستغلين في ذلك كتابات المتصوفة وفتاويهم التي كانت تهاجم قرارات الحكام والسلاطين كالخراج المفروض على المسلمين أو ما عرف بإقتصاد المغازي[4]، والذي كان مالاً حراماً بسبب مصادره التي لم تكن شرعية[5]، وكذلك إقتصار عطايا السلاطين وجوائزهم في فئة المؤيدين لهم كحال الفقهاء،الأمر الذي إستنكره الصوفية فأنتقدوا السلطة بسبب الأوضاع التي بلغت حداص لا يطاق،ليتوجس المرابطون الخطر من الصوفية وقيام ثورات في المغرب بزعامتهم[6].

فنذكر أبو علي حسن المسيلي الذي عاصر خلفاء ثلاثة هم:عبد المؤمن وأب يعقوب يوسف ويعقوب المنصور، الذي إنتهج معهم أسلوب النهي عن المنكر بالحجج الدامغة بالإقناع، مما جعل

[1]-سراج الطوسي ، المصدر السابق ،ص393

[2]-شعيب زهرة واخرون ، المرجع السابق ،ص128

[3]- الطاهر بونابي ، التصوف في الجزائر ،ص 196

[4]- الغزالي ، المصدر السابق ،ج2 ،ص148

[5]- نفسه، ج2، ص149

[6]- ابراهيم القادري ، المرجع السابق ،ص163

العامة يستغنون عن قضاة الموحدين وفقهائهم، ويعودون إليه في كل أمور دينهم ودنياهم،فهدد بذلك القضاء الذي يعتبر ركيزة الحكم الموحدي ومكانة فقهائهم[1].

فاتجه الموحدون للضغط على الصوفية نظرا لتنامي شعبيتهم وغتساع مؤيديهم،بحيث أخذ والي بجاية يحذر الصوفي أبا علي الحسن المسيلي بأن لا يخوض في المسائل السياسية،بل طلب منه أن يشتغل بأموره الخاصة،وأن لا يتدخل في شؤون الناس[2]،وكذلك تم إستدعاء أبي مدين شعيب من قبل الخليفة المنصور بعد أن أخافه فقهاء الظاهر من كثرة اتباع أبي مدين وسلطته الروحية[3]،خاصة بعد إنتقاده اللاذع لجور الولاة وسياستهم الظالمة،مع تواطؤ الفقهاء في ذلك ليحذر بلهجة شديدة ويهدد بالسجن إذا ما إستمر في أسلوبه[4].

يبدو أن بعض الموحدين تعسفوا إزاء بعض الصوفية،عندما يتعلق الأمر بأمن الدولة واستقرارها السياسي في نظرهم،فقد تعرض الصوفية الذين بايعوا عليا بن محمد بن غانية الماروقي المرابطي عند دخوله إلى بجاية سنة 581ه/1185م عن طواعية أو إكراه[5]،للتنكيل وإجراءات الإقصاء من طرف طرف يعقوب المنصور بعد تحرير بجاية[6]،إذ تم إقصاء أبي علي المسيلي من منصب القضاء الذي كان كان يشغله قبل دخول الموارقة،وتعرض قرينه عبد الحق الإشبيلي للتنكيل[7]،بل إن الخليفة يعقوب المنصور كان ينوي قتله لقبوله منصب القضاء في فترة حكم ابن غانية ببجاية[8].

---

[1]- الغبريني، المصدر السابق، ص68

[2]-نفسه، ص68

[3]-الغبريني، المصدر السابق، ص186

[4]- الطاهر بونابي، الحلركة الصوفية، ص662

[5]- الغبريني، المصدر السابق ، ص77

[6]-نفسه، ص60

[7]- ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب، تح: محمد الاحمدي ابو النور، دار التراث القاهرة 1972م، ج2، ص186

[8]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص272

لم تكن هذه السياسات حكراً على الموحدين فقط بل ميزت سابقيهم من الحكام المرابطين الذين تميزوا بسياستهم التعسفية تجاه الصوفية وقابلوا نشاطهم وتوسعهم بسياسات تباينت بين المواجهة والإحتواء،وهذا أيضاً دون أن ننسى دور الفقهاء في ذلك معتمدين على قضية كتاب الإمام الغزالي كذريعة[1].

لقد إعتمد المرابطون على الدسائس والمناورات مستخدمين في ذلك الفقهاء بحيث أخذوا يراقبون التحركات الصوفية،وأخذوا في قطع الإتصال بينهم،وعمدوا إلى تفجير تيار الغزاليين عن طريق تشويه كتاب الإحياء واعتباره مخالف للسنة ومطاردة أنصاره من الصوفية[2]،لكونه يحمل خطاباً نقدياً لكافة سياسات الدولة المرابطية في مختلف المجالات[3]،ونتيجة هذا القرار الذي إتخذه المرابطون في حق كتاب الإحياء ومنع تداوله بين الناس راح ضحيتها مجموعة من العلماء والمتصوفة والفقهاء ومن بينهم شيخ الصوفية ومؤلف "شرح الأسماء الحسنى" ابن برجان سنة(536هـ/1141م)[4] وكذلك ابن العربي(ت543هـ)، وهو تلميذ الإمام الغزالي (ت505هـ)، والواقع أن الحقيقة شيء آخر، وإذا كان ابن العربي قد دخل السجن فذلك من عمل الموحدين أنفسهم لدى تسلمهم السلطة[5].

لقد أصبح الإضطهاد السياسي من طرف الحكام للمتصوفة صفة مرتبطة بوجودهم ،فلم يكتفوا بمنع دروسهم أو كتاباتهم بل وصل الأمر بهم إلى سجنهم وطردهم، ووصل الأمر أحيانا إلى قتلهم،كل هذا كان للفقهاء يد فيه بسبب هجوم المتصوفة عليهم من خلال الإستشهاد بما جاء في كتاب الغزالي الذي كانت علاقته مع الفقهاء لا تتميز بالود والتقارب وهذا أمر عرف عنه طيلة

---

[1]- الطاهر بونابي ، التصوف في الجزائر ، ص196

[2]- ابراهيم القادري ، المرجع السابق ،ص1

[3]- محمد القبلي ، المرجع السابق ،ص38

[4]-ابن العماد ابو الفلاح عبد الحي بن احمد بن محمد العطري الحنبلي الدمشقي ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب تح عبد القادر ارناؤوط ، دار ابن كثير ، بيروت ،1406ه،ط1 ،ج6 ،ص185

[5]- سلمى الخضراء الجيوسي ، المرجع السابق ، ص18

مسيرته[1]،حيث قال في حق الفقهاء وضعفهم وتوظيف علمهم في كسب الدنيا والتقرب من الحكام لنيل الحضوة عندهم فقال:"علماء الدنيا فيدخلون ليتقربوا إلى قلوبهم ،فيدلوهم إلى الرخص ويستنبطون لهم بدقائق الحيل طرق السعة فيما يوافق أغراضهم"[2]،وقوله أيضاً:"علما ء زماننا شر علماء من علماء بني إسرائيل،يخبرون السلطان بما يوافق هواه،ولو أخبروه بالذي عليه فيه نجاته لاستثقلهم،وكره دخولهم عليه،وكانت ذلك نجاة لهم عند ربهمّ[3].

كما وحملوا الغزالي الفقهاء الذين هم على هذه الأخلاق مسؤولية فساد المجتمع في قوله:"إنما فساد الرعية بفساد الملوك،وفساد الملوك بفساد العلماء،فلولا قضاة السةء لقل فساد الملوك ،وفساد خوفا من إنكارهم"[4]،ولم يكتفي بهذا القدر بل إنه تحدث عن مصيرهم أيضا وربطه بمصير السلاطين الظلاّم والجائرين ،وذلك كله في سبيل تعرية واقع فقهاء الدنيا من طرف صوفية المغرب ليتبع خطاه أبو الحسن المسيلي في كتابه"التفكير فيما اشتملت عليه الصور والآيات من المبادئ والغايات" والذي كان مرجعاً لنقد المكانة المادية والأدبية التي حازها الفقهاء في الدولتين الصنهاجيتين[5]،وكذلك دعوة الطلبة والعامة لقراءة الإحياء في قلعة بني حماد من طرف عبد السلام التونسي وأبي الفضل بن النحوي يعكس إصرار الصوفية،على كشف طبقة الفقهاء،وإظهارها على حقيقتها[6].

وفي مقابل ذلك إنتقد فقهاء السلف من جانبهم مظاهر التقشف والزهد التي كانت بادية على هؤلاء الصوفية،ففي قلعة بني حماد إعترض قاضيها أبو عبد الله بن عصمة على شكل الصوفي أبي

---

[1]- الطاهر بونابي، الحركة الصوفية، ص798

[2]- الغزالي ، المصدر السابق ،ج2 ،ص155

[3]- نفسه،ج1 ،ص84

[4]- نفسه ،ج2 ،ص164

[5]- الغبريني ، المصدر السابق ، ص67

[6]- ابن الزيات ،المصدر السابق ،ص152

الفضل بن النحوي في قوله:"صفرت وجهك ورققت ساقيك"[1]، وكذلك إعتراض الفقيهين أبي بكر وأبي محمد بن مخلوف على الصوفي عبد السلام التونسي في مجلس درسه بتلمسان،متهمانه بالإقتصار على إستعراض المسائل الفقهية دون إستنباطها[2]، كما أنهم لم يبدو تورعاً في طلب النجدة من السلطة لمواجهة التيار الغزالي[3].

وبغض النظر عن الخلفيات السياسية التي إنطلق منها فقهاء الفروع بإعتبار ما جاء في الإحياء يهدد مكانتهم الإجتماعية والسياسية، فإن جوهر الصراع أعمق يتعلق بالإختلاف من حيث الإختصاص[4].

وكما سبق لنا الذكر فقد وصل الأمر بالصراع بينهما في عدة مرات إلى غاية السجن والقتل،كما حدث مع عبد السلام المشيش صاحب رسالة"الصلاة المشيشية"الذي قتل شهيداً من طرف جماعة قيل بأنهم بعثوا من طرف رجل يدعى ابن أبي الطواجين الكتامي وذلك سنة 622هـ، ودفن بجبل العلم الذي ولد به بثغر تطوان[5].

وحتى في عهد الموحدين الذين كان مذهبهم أشعرياً ظاهرياً لم يستطيعوا كسر شوكة المتصوفة الذين كانوا يؤلفون الكتب لإنتقاد المذهب الظاهري والقصد في ذلك إنتقاد الخلفاء الحماديين ككتاب"النبراس في الرد على منكر القياس"،والذي هاجم فيه الشيخ المسيلي فقهاء الظاهر ودعى إلى الأجتهاد[6]، بينما انتصب أبو مدين لتقرير الفتاوى على مذهب الإمام مالك بجسارة معتبراص ظهور دجاجلة الدين الفتانون نتيجة منطقية لسيادة فقهاء الظاهر لقوله:"بفساد بفساد الخاصة

---

[1]- ابن الزيات ،المصدر السابق ، ص78

[2] -الغبريني ، المصدر السابق ، ص89

[3] -محمد القبلي ، المرجع السابق ، ص28

[4]- ابراهيم القادري ، المرجع السابق ، ص153

[5] -عبد المنعم الحنفي ،الموسوعة الصوفية (اعلام التصوف والمنكرين عليه والطرق الصوفية)، دار الرشاد، ط1 1412هـ 1992م، ص91

[6]- عبد الله الكنون ، النبوغ ، ج1 ،ص122

يظهر دجاجلة الفتانون"[1]،كما ألف الصوفي أبو زكرياء يحي الزواوي مجموعة من المؤلفات ،خصها للرد على فقهاء الظاهر منها كتاب"حجة الأيام وقدوة الأنام" رد فيها على شيخ الظاهرية أبي محمد علي بن حزم[2].

وما زاد من قوة الصوفية في مواجهتهم لفقهاء الظاهرية ،إقبال العامة عليهم لحل مشاكلهم الدينية والدنياوية،فشعر الظاهريون بانكماش مذهبهم وقلة أتباعهم،وأن مركزهم الأدبي والسياسي أصبح مهدداً فاستعانوا بالسلطة لأجل الحد من إنتشار الصوفية،مخوفينهم من كثرة اتباعهم وشعبيتهم على الدولة[3]، فأستدعي لهذا الغرض أبي مدين شعيب وأبي بكر الزواوي[4]، وأوصي والي بجاية بالإعتناء بأبي مدين في الطريق، فبينما لبّى أبو مدين الدعوة وسار غلى مراكش حيث لقي حتفه في الطريق بالقرب من تلمسان ودفن بالعباد[5].

فانتدب ابو زكريا يحي الزواوي تلميذه أبا محمد عبد الكريم الحسيني،الذي حمل مؤلفات شيخه إلى مراكش،أين عقد له يعقوب المنصور مناظرة مع الفقهاء،عرض خلالها مؤلفات شيخه التي أفحمت الفقهاء،فكان من شأن ذلك أن قال الخليفة:"يترك هذا الرجل – أبي زكريا يحي الزواوي-على إختياره،فان شاء لعن وإن شاء سكت"[6].

---

[1]- الغبريني، المصدر السابق، ص66

[2]- نفسه ،ص217

[3]- التنبكتي ، المصدر السابق، ص129

[4] -الغبريني ، المصدر السابق ، ص60

[5]-الطاهر بونابي ، التصوف في الجزائر، ص213

[6]- الغبريني، المصدر السابق ، ص217

أن سعي السلطة لتلبية إقتراحات الفقهاء من خلال إلحاحهم على القضاء على المتصوفة بكل السبل دفعهم إلى إعتماد أسلوب المناظرة بالرغم من فشله كما إتضح سابقًا الغاية منه في الأساس كسر شوكة المتصوفة من خلال تعجيزهم،ثم القضاء عليهم إما من خلال النفي أو الإعدام[1].

بالرغم من طبيعة العلاقة في المناظرة والتأثر الكبير الذي كان يحدثه الصوفية لدى نظرائهم من الفقهاء الظاهرية بالرغم من إختلاف الرؤى والأفكار،إلاّ أن بعض المناظرات سجلت احتراما مابين الأطراف المتناظرة،مثلما حدث بين عبد الكريم المغيلي جلال الدين السيوطي الذي أنكر استعماله وذهب إلى أكثر من ذلك ،حيث حرم التعامل به لأنه علم الكفار[2] وفيما يلي نستعرض بعض المقاطع من المناظرة التي دارت بينهما فسجلها الرواة:

سمعت بأمر ما سمعت بمثله وكل حديث حكمه حكم أصله

أيمكن أن المرء في العلم حجة وينهي عن الفرقان في بعض قوله

هل المنطق المعني إلا عبارة عن الحق والتحقيق حين جهله

معانيه في كل الكلام فهل ترى دليلا صحيحاً لا ترد شكله

أريني هداك الله منه قضية على غير هذا يبقينا عن محله

ودع عنك ما أبدى كفور وذمة دجال وإن أثبتت صحة نقله[3]

خذ الحق حتى من الكفور ولا تعمم دليلا على شخص بمذهب مثله

عرفناهم بالحق لا العكس فاسبن به لا يهم إذ هم هداة لأجله[4]

---

[1]- الطاهر بونابي، الحركة الصوفية ، ص664

[2]- شعيب زهرة واخرون، المرجع السابق ، ص130

[3] -محمد بن عبد الكريم المغيلي ، مصباح الارواح في اصول الفلاح، تح: رابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع و الجزائر 1968م ، ص106

[4]- التنبكتي ، المصدر السابق ، ص.ص547.576

لما تناهى الإمام السيوطي ما ألف المغيلي من رجز في المنطق وبدأ يدرسه لطلابه فرد عليه الإمام جلال الدين من نفس البحر بالأبيات:

أقرر فيه أن النهي عن علم منطوقا قال من قال في ذم شكله

وسماه بالفرقان يا ليت لم يقل فذا وصف قرآن كريم لفضله

وقال محتجاً بغير رواية نقلا عجيبا نائبا عن محله

ودع عنك ما أبدى كفراً و باعدنا خذ الحق حتى من كفور بختله[1]

وقدجاءت الآثار في ذم من حوى علوماً يهودي أو نصراني لأجله

يحوز به علماً لديه وإنه يعذب تعذيباً يليق بفعله

وقد منع المختار فاروق صحبه وقد خط لوحا بعده توراة أهله

وكم جاء من نهي إتباع الكافر وإن كان ذلك الأمر حقا لأهله

أقمت دليلا بالحديث ولم أقم دليلاً على شخص بمذهب بمثله

سلام عى هذا الإمام فكم له لدي الثناء والإعتراف بفضله[2]

إن من يقرأ سطور هذه المناظرة ويتمعن في لغة الحوار والبلاغة التي يتميز بها كل من الشيخين يدرك مدى الإحترام والتقدير المتبادل بين محمد بن عبيد الكريم المغيلي وجلال الدين

[1] -عبد الرحمان بن لعرج ، العلاقات الثقافية بين دواة بني زيان والممالك، مذكرة ماجستر، قسم تاريخ جامعة تلمسان 2008/2007م، ص163

[2] - المغيلي ، المصدر السابق، ص11

السيوطي،ولعل الشيء المشترك بينهما ورحلتهما إلى السودان في طلب العلم وتنشيط الحركة الثقافية فيما يعرف ببلاد السودان.[1]

لقد شهدت تلمسان نقاشاً حاداً دام أكثر من قرنين بين فقهاء السنة ورجال التصوف ،ولعل ظهور هذه الظاهرة كان في عهد الأديب الشاعر الصوفي المتفلسف محمد ابن الخامس،هذا الأخير تصدى له ولأفكاره بعض فقهاء تلمسان وعلى رأسهم القاضي بن هدية القرشي(ت773هـ/1337م)[2]، الذي كان متميزاص بنفوذه السياسي والأدبي في دولة الزيانيين،إذ إتهم ابن خميس بالكفر والزندقة[3]، لأنه ألف الرسالة المسماة بـــ "العرق النفيس في شرح رسالة بن خميس"،ثم أرسلها إلى مدينة فاس شرقاً، والتي كانت آنذاك تحت وصاية أبي الفضيل محيي بن العتيق العبدري يدافع فيها عن نفسه،وبعدها وضعه الشريف أبو البركات وهو من أهم الفقهاء المالكية الذين برزوا في فاس في خانة الكفر والظلالة لذى مثوله أمام المحكمة الخاصة بمدينة فاس[4].

لقد حضر هذه المحاكمة ابن هدية قاضي تلمسان الذي كان يحمل في قلبه حقداً وكرها شديدين لابن خميس، الذي وقف بشجاعة يدافع عن آرائه وأفكاره ببلاغة ومحاجة قاطعة، وكان في بعض الأحيان أثناء المحاكمة يصمت، ليس لأنه لا يملك الإجابة إنما فطنة منه لما كان ينصبه له خصومه[5].

كانت نهاية المحاكمة واضحة لابن خميس والذي صدر قرار لإعدامه،لكنه تمكن من النجاة بالفرار إلى تلمسان مسقط رأسه التي عاش فيها في عزلة وإنزواء طويلين،شابهما الترقب لمرور الأخطار التي

---

[1]-شعيب زهرة واخرون ، المرجع السابق، ص132

[2]-المهدي البعيدي ، اهم الاحداث الفكرية بتلمسان عبر التاريخ ، مجلة الاصالة ، عدد 26، ص131

[3]- توات الطاهر ، ابن الخميس شاعر تلمسان الاكبر ، دار الاوطان ، الجزائر ،2011م ، ط1 ، ص91

[4]-عادل النويهض ،معجم اعلام الجزائرمن فجر الاسلام حتى العصر الحاضر ، مؤسسة نويهض الثقافية للتاليف والترجمة،بيروت ،1980م ،ط2، ص64

[5]- شعيب زهرة واخرون ، المرجع السابق ، ص133

كانت تحيطه،سواء من المراقبة الشديدة التي كانت مفروضة عليه، وقد وصف حالة الظلم والإضطهاد التي عاشها في عديد من أشعاره حتى انه عاش بين أهله مجهولا[1].

المبحث الثالث :نتائج وإنعكاسات الصراع بين الفقهاء والمتصوفة في بلاد المغرب

المطلب الأول: النتائج السياسية

نظراً لأن سياسة الخلفاء كانت سبباً في الصراع الذي اشتعل ودارت رحاه بين الفقهاء والمتصوفة كان لابد له من أن ينعكس سلباً عليها،فقد قابل المعتزلة ذلك بانتقاد السلطة وعدم إبداء فروض الطاعة لهم[2]،كذلك ظهور نفور العامة وسخطهم على الحكام بسبب إهمالهم لامور الرعية والإشتغال بالملذات وتحقيق الشهوات والثروات على حساب مشاعر العامة من الشعب،الأمر الذي أصبح يدعو إلى قيام الثورات والمظاهرات ضد الطغيان ومحاولة إسقاط نظم الحكم[3]،وهي الذريعة التي على سبيل المثال إستخدمها الموحدون في القضاء على الحكم المرابطي بدعوى الإصلاح الديني والإجتماعي[4]، كما وعابوا عليهم إختصاص طبقة الفقهاء بالهدايا والممتلكات دونا عن الشعب الذي في نظرهم كان الأحق بذلك[5]، بل وصل بهم الأمر أن نادوا بفكرة حشر القضاة الذين كانوا كانوا فقهاء مع زمرة السلاطين في جهنم وبئس المصير[6].

وفي المقابل عمل الحكام أيضا على نسج الدسائس والمؤامرات بمساعدة الفقهاء للقضاء على التوسع الصوفي في المجتمع والتأليه الذي أصبحوا ينالونه عند العامة من خلال تحقير مكانتهم ودعوتهم إلى

---

[1]-شعيب زهرة واخرون ، المرجع السابق، ، ص134

[2]- الطاهر بونابي ، التصوف في الجزائر ، ص210

[3]- الغزالي ، المصدر السابق ،ج3 ،ص381

[4]- الغبريني ، المصدر السابق ،ص91'

[5]-نفسه ، ص134

[6]-الطاهر بونابي ،الحركة الصوفية ،ص720

مناظرات ،الغرض منها كشف ولائهم وإتجاهاتهم الفكرية من خلالها[1]، لكن هذا الأخير كانت عبارة من مجموعة من الكمائن والخطط تنتهي في أغلبها إما باصدار حكم المفي أو القتل في حق الصوفي[2]، والهدف الحقيقي منها هو تقليص أعداد الفقهاء الصوفية، وتابعيهم من خلال أي تخويف وترهيب العامة من ان يلاقوا نفس مصير هؤلاء[3].

وكذلك لم يرى الحكام في أساليب الفقهاء الصوفية وعاداتهم ما يخدم مصالحهم، فهم كانوا النقيض المباشر لهم ،فالصوفية كانوا يتحاشون السلطة، وعدم التقرب منها،والزهد في أعطيات حكامها وهباتهم،وكل ما من شأنه أن يرمز إلى الدنيا وزينتها[4]، وهذا الأمر لم يتقبله الحكام ورأوا فيه إنكاراً لسلطتهم وكسرا كلمتهم، الأمر الذي سينقص من هيبتهم وحظوتهم عند العامة خاصة وأن نظرائهم الفقهاء كانوا يتقبلون هذه الهدايا[5].

إن فشل الموحدين وسياستهم كالقضاء على الفقر المتفشي والتمايز الطبقي داخل المجتمع الموحدي،إضافة إلى فشل العقيدة التومرتية في مجال الإصلاح الديني والإجتماعي من كبح جماح التفسخ الأخلاقي،إضافة إلى إستكناف الموحدين على احياء مدن المغرب الأوسط التي طالها خراب العرب الهلالية وبني غانية[6]،لذلك باتوا يخافون من ثورات إجتماعية قد تكون من وحي الصوفية، فعملوا على تنافي الوقوع في هذا المأزق بالغعتناء بهذه الشريحة والسهر على خدمتها،لكن هناك من الصوفية من رفض التقرب من سلطة الموحدين، وناصبها النقد والمعارضة السلمية من خلال

[1]-الفرد بل ، الفرق الاسلامية في شمال افريقية من الفتح العربي حتى اليوم ، تح: عبد الرحمان بدوي ، دار الغرب الاسلامي بيروت، ط3، 1987 م، ص380

[2]- ابن الزيات ، المصدر السابق ، ص133

[3]- الغبريني ، المصدر السابق ، ص178

[4]- الطاهر بونابي ، التصوف في الجزائر ، ص209

[5]- الغزالي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص155

[6]- ابن خلدون ، بغية الرواد ،ج6 ، ص391

كشف الواقع الإجتماعي والإقتصادي والسياسي المتردي[1]، والذي في نظرهم ساهم فيه الفقهاء بشكل أو بآخر من خلال غضهم الطرف عن جور الحكام وإستأناسهم بالثروات والخيرات مهملين رعاياهم دونما تحركهم ساكناً للفت غنتباه الحكام إلى هذا الخطأ ودعوتهم إلى إصلاح سياستهم وذات بينهم كونهم حملة العلم والدين وأحرص الناس عليه من غيرهم[2].

المطلب الثاني: النتائج الدينية

على الرغم من مخلفات عدم التوافق والصراع الذي عرفته العلاقة بين الفقه والتصوف،إلا أن نتائجه قد تباينت من حيث مجال الدين وقضاياه،فالواقع الذي كان يعيشه المغرب في بدايات القرن 6هـ من غنتشار لمظاهر اللهو والمجون عند طبقات معينة(طبقة الحكام)، قد خلف امتعاضاً كبيراً لدى أوساط كثيرة من العباد والزهاد[3]،في ظل تجاهل من طرف الفقهاء وطبقتهم لأمور العامة،حيث اشتغلوا بأمور سطحية وسخروا علمهم لخدمة السلاطين والأمراء[4].

إن هذا الواقع الذي أصبح معاشاً دفع بالصوفية إلى القمة فيما خص مجال الوعظ الديني وتوعية العامة بأمور دينها في المساجد،الربط والزوايا،ومن أبرز مجالس الوعظ والتذكير خلال النصف الثاني من ق 6هـ مجلس أبي مدين شعيب وأبي زكريا ويحي الزواوي،وأبي تميم الواعظ الوهراني[5] وفي تلمسان أشتهر مجلس أبي عبد الله بن الحجام الذي وصفه يحي بن خلدون بواعظ زمانه[6]

[1]-الطاهر بونابي ، المرجع السابق ،ص201

[2]- ابراهيم القادري ، المرجع السابق ، ص107

[3]- عبد العالي بوعلام ،المرجع السابق ، ص464

[4]- الطاهر بونابي ، التصوف في الجزائر ، ص191

[5]- يحي ابن خلدون ،المصدر السابق ، ج1 ، ص102

[6]- الغبريني ، المصدر السابق ،ص136

وعلق ابن الزيات على مجلسه وعظه:"كان مجلسه كهفا للمريدين وأهل الخير يأوون إليه،وكان إذا انشد بصوته بديع شعر شاق وراق وأثار كل الأشواق،وإذا نصح صحيح الخبر لم يبق و لم يذر[1]".

لقد كان لهؤلاء المتصوفة دور كبير في نشر الدين الإسلامي والتعريف به على المستوى المحلي في المدن والأرياف[2]، من حسن حظ المتصوفة وسوء طالع الفقهاء في هذا الصراع أن طبيعة حياة العامة

توافقت مع مبادئ المتصوفة وأفكارهم فحالة الفقر والحاجة التي إنتشرت بسبب إما إهمال الحكام أو توالي الحروب والنكسات على المجتمع المغاربي قد فرضت واقعها على طبيعة عيش العامة من السكان[3].

كل هذا كان في صالح المتصوفة الذين إستطاعوا كسب العديد من التابعين ،وانتشار فكرهم كالنار في الهشيم،وإزدياد أعداد من ارادوا تلقي العلم على أيديهم ،وتتبع سبيل حياتهم،فالتصوف هو نبذ مباهج الحياة الدنيا والإستغناء عنها بالتفرغ للعبادة، والمعرفة الحقة لحقيقة الكون وخفاياه[4].

ساهم إضطهاد السلطة وحاربة الفقهاء للمتصوفة الذين أصبحوا في نظر العامة رموزا للصمود في وجه الظلم والحرمان، وفي مشاهد تسليم وإنقياد المجتمع إلى الصوفية ما يعكس عمق تأصل ظاهرة الإعتقاد بهم، والرغبة لتحصيل دعواتهم وبركاتهم[5]، إضافة إلى انتشار مدارسهم التعليمية وتكاثر تلاميذهم الذين تأثروا بالمتصوفة،وما عاشوه من اضطهاد وحرمان سلط عليهم من طرف السلطة

[1]- ابن الزيات ، المصدر السابق ، ص462

[2]- الغبريني ، المصدر السابق ، ص180

[3]- الطاهر بونابي ، حركة التصوف، ص672

[4]- عبد العالي بوعلام ، المرجع السابق ، ص463

[5]- الطاهر بونابي ، حركة التصوف ، ص673

بإشراك الفقهاء في ذلك،فقد نقل عن ابن مخلوف قوله:"أن أبا مدين تخرج علا يده ألف تلميذ ...ومن دون شك أنهم لما عادوا إلى بواديهم وأريافهم عملوا على نشر ما تعلموه"[1].

لم يستطع الفقهاء بالرغم من كل محاولاتهم لكسر شوكة المتصوفة من النجاح في ذلك، فالدسائس التي كانوا يحيكونها باستخدام الولاة ورجال الحكم كانت تبوء بالفشل،وتظهر نتائجها في نفور العامة منهم ومن مجالسهم،وعدم الإستماع لدروسهم في الوعظ والمساجد[2].

لقد كان الصراع الفقهي الصوفي ذا انعكاسات غير محمودة على الفقهاء فأصبح العامة يعيّرونهم بموالاتهم للحكام وبيع ذممهم والتخاذل عن واجباتهم الدينية التي من المفروض أن يقوموا بها والإشتغال بتحصيل الأموال والثروات، وتناسي التكفل بالإنشغالات الدينية والقضايا الفقهية الجديدة في المجتمع[3]، هذا الأخير الذي اصبح يعرف تمازجا كبيرا وإنفتاحاً على المجتمعات والحضارات الأخرى التي باتت تصدر أفكارها إليهم سواء دينية أو إجتماعية،وهو الأمر الذي تطلب وقوف علماء الدين أمامهم[4]، إلى جانب ذلك أثرت الصراعات بين الفقهاء والمتصوفة الحركة التأليفية في المجال الديني،حيث كان المتصوفة يؤلفون فتاوى في انتقاد الفقهاء وأوضاعهم الإجتماعية والدينية مثلما حدث مع أبي علي الحسن المسيلي الذي الف كتب حملت مجموعة من الفتاوى ،كان فيها نقد لاذع للفقهاء[5]، وحتى أبي مدين شعيب الذي كانت له إسهامات في هذا الشأن ،الغرض منها الإصلاح الديني، وكبح جماح التفسح والإنسلاخ الذي أصبح يعيشه المجتمع نتيجة إهمال الكثير من مبادئ الدين وسلوكه القويم[6]،كل هذا والفقهاء في موضع المتفرج، الأمر

[1]- الغبريني ، المصدر السابق ، ص167

[2]- الطاهر بونابي ، التصوف في الجزائر ، ص193

[3]- عبد العالي بوعلام ، المرجع السابق ، ص464

[4]- ابن خلدون ، شفاء السائل ، ص202

[5]- يحيى ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج1، ص169

[6]- عبد العالي بوعلام ، المرجع السابق ، ص463

الذي أدى إلى قيام المتصوفة بحركة تصحيحية إتجاههم بغية إحياء ضمائرهم وإنتقاد المجتمع من الأنحرافات والإختلالات[1].

المطلب الثالث: النتائج الإجتماعية

انعكس الصراع بين الفقهاء والصوفيون على المجتمع المغاربي وجوانب حياته الإجتماعية،وكما سبق لنا ان ذكرنا بأن من اسباب الصراع غشتغال الفقهاء بحياة القصور والولاء للحكام وتناسب العامة ومشاغلهم،الأمر الذي دفع بهم إلى البحث عمن يعوضهم مكانة الفقهاء[2]، ولقد كان في المتصوفة الذين كانت حياتهم متميزة ببساطتها وخلوها من جميع الأمور التافهة،ماكانوا يرجونه فالمتصوفة كان شغلهم الشاغل الإهتمام بمختلف الفئات المحرومة في المجتمع[3].

لقد عرف المجتمع المغاربي انحرافا في مقومات شخصياته وقيم أخلاقه نتيجة لعوامل متباينة بين انتشار البذخ والثراء الفاحش لدى البعض،وتناسيهم قيم دينهم التي تعتبر عصمة أمرهم،فوقعوا في المحرمات وارتكبوا الفواحش[4]،وهذا الأمر لم يقتصر عليهم فقط بل تعدى حتى وصل للفقراء،الذين للفقراء،الذين امتهنوا التسول والسرقة،كل هذا يحدث والفقهاء في غفلة عنه[5]، بينما كان المتصوفة المتصوفة يراقبون ذلك ويسعون جاهدين لتدارك الوضع والعمل على مقاومة الإنحرافات والإختلالات مع الحرص على توجيه رسائل تحذيرية للفقهاء بهدفإحياء ضمائرهم وردهم إلى الطريق الذي من المفروض عليهم إتباعه[6].

---

[1]- ابن خلدون ،العبر ،ج6 ، ص132

[2]- ابن الزيات ، المصدر السابق ، ص192

[3]- الطاهر بونابي ، التصوف في الجزائر ، ص193

[4]- عبد العالي بوعلام ، المرجع السابق ،ص465

[5]- يحيى ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص77

[6]- نفسه، ص102

إن هذا النشاط الصوفي الكبير الذي قابله إهمال الفقهاء أكسب لأوائل مكانة رفيعة لدى العامة وجعل كلمتهم مسموعة وآراءهم متبوعة وبركاتهم مطلوبة،فقد كانوا بمثابة الغمامة الماطرة على صحراء الفقراء في ظل الجفاف الفقهي من طرف فئة الفقهاء وولاة الأمر[1]،لكن سرعان ما أدرك الفقهاء واقع الأمر بدخول المتصوفة والتصوف شؤون العامة وعقولهم،وأصبح لهم تأثير السحر على حيتة العامة وقراراتهم،الأمر الذي ينبئ باحتمالية وقوع ثورة شعبية بقيادة المتصوفة للقضاء على احتكار الفقهاء والسلطة للأموال والثروة[2].

فسعوا إلى كسب ود العامة والعمل على تشويه صورة المتصوفة واتهامهم بالكفر والزندقة وحتى الإلحاد،كل هذا جعل المجتمع المغاربي يعيش حياة متناقضة مملوءة بالتيارات الدينية والفكرية والتي كانت تقود أفراده، تارة بين الإلتزام والأشتغال بالعبادة وطلب العلم وتارة أخرى بين اللهو والغوص في الشهوات والمحرمات [3].

إن نتائج الصراع بين المتصوفة والفقهاء قد ساهم في الحياة الإجتماعية في القضاء على الفوارق والطبقية للمجتمع المغربي،سواء من جانب المتصوفة الذين كان هدفهم منح الفرصة لعامة الشعب كغيره من الخاصة في التعلم وغيره من المجالات[4]، أو من جانب الفقهاء والسلطة الذين سعوا إلى المساواة بين الطبقة العامة والحاكمة في فرض التعلم وتولي المناصب كالقضاء والقيادة في الجيش،وغيرها من المناصب العليا في الدولة بغية كسب ود الشعب وإخماد غضبه والقضاء على اية محاولة لتغيير الحكم[5].

[1]- مليابي فاطمة وآخرون، المرجع السابق ، ص79

[2]- عبد الواحد المراكشي ، الصدر السابق ، ص192

[3]- البرزلي ، المصدر السابق ،ص227.

[4]- مليابي فاطمة ، المرجع السابق ، ص80

[5]- محمد بركات البيلي، المرجع السابق ، ص102

الفصل الثالث

التوافق الفقهي الصوفي في بلاد المغرب الإسلامي

المبحث 1: عوامل وأسباب التوافق الفقهي الصوفي

المطلب الاول:التقارب الفكري:

يمكن القول أن العلاقات السلمية بين الفقهاء والمتصوفة تجلت في نوع من المعارضة السلمية رغم الاختلافات في المشارب والآراء وذلك خلال عهد الدولتين الحمادية والمرابطية.[1]

إن هذه العلاقة يمكن القول عنها أنها كانت نتيجة حتمية لمجموعة من العوامل والظروف التي فرضت نفسها عليهم ويمكن تقسيمها إلى ظروف سياسية، دينية واجتماعية. كل من هذه الظروف كان له الإسهام ولو يسير في هذا التقارب والتواد بين الفقه والتصوف خاصة بعد منتصف القرن السابع للهجري الذي عرف صعود الحفصيين والزيانيين إلى واجهة الحكم، وفيها عرفت التيارات الصوفية والفقهية أوج التوافق بينها.[2]

فعلى سبيل المثال عرفت العلاقة بينها تقاربا من خلال حضور الفقهاء مجالس الصوفية، دون تميزهم عن غيرهم من المتصوفة[3]، وللتأكد من ذلك يكفيك الاطلاع على كتابات الغريني في هذا الأمر، وهو الذي ذكر عديد الأمثلة عن هذا التقارب[4]، كذلك اجتماع الفقهاء والصلاحاء والمتعبدون في المساجد لاستماع الكلام المفيد بالكتاب والسنة على نهج السلف الصالح[5].

كذلك يذكر بأن الفقهاء أصبحوا ذو اعتقاد في الصوفية، وكانوا يذهبون إليهم للاطلاع على المستقبل ومعرفة أمورهم في هذه الفترات[6] كذلك من الأسباب التي ساعدت على التقارب بين الفقهاء والمتصوفة الوضع الاجتماعي والمعاشي حيث ظهرت البدع والشعوذة والمشعوذين نظرا لأن هذه الظواهر كانت تظل العامة عن الطريق المستقيم كذلك دخول المتصوفة إلى جانب فقهاء

---

[1]- الغبريني، عنوان الدراية، ص361.

[2]- الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر، ص215.

[3]- بيل ألفريد، الفرق الإسلامية، في شمال إفريقيا من الفتح العربي حتى اليوم، تح: عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ج3 ص305.

[4]- الغبريني، المصدر السابق، ص165.

[5]- نفسه، ص168.

[6]- نفسه، ص153.

المالكية في الصراع مع فقهاء الظاهر خلال القرنين 6ه و7ه، والذي كان امتدادا تاريخيا للصراع الذي قاده فقهاء المالكية ضد المذاهب إلى حلت بالمغرب الإسلامي منذ القرن الثالث للهجري/التاسع الميلادي وذلك بسبب التقارب في الأسس بين فقهاء المالكية والمتصوفة[1] كذلك كون الصوفية كانوا إلى جانب انشغالهم بالتصوف، ملمين بالفقه والحديث والأصول والأمور العقلية، أي جمعوا بين علم الظاهر، وعلم الباطن، مؤكدين أن العلمين لا يتناقضان، كلاهما متم للآخر[2]. فضلا عن القوى الروحية الدينية التي تميز بها الطرفان التي ساعدت على ترسيخ أصول التقارب بين الطرفين[3].

إضافة إلى أن التيارات الصوفية السنية في المغرب الأوسط والتي كانت ذات انتشار واسع استمدت فطرياتها من مصادر مثلث ثروة في إصلاح الفكر الصوفي التي دعت إلى الجمع بين الشريعة والتصوف، وهو الأمر الذي دعا إليه كل من القشري والإمام الغزالي[4].

المطلب الثاني: الأوضاع السياسية:

زد على ذلك السعي الكبير والمتواصل للسلطة في العمل على التقريب بين هاتين الفئتين اللتان كانتا ذا إمكانية كبيرة بين سكان المجتمع المغاربي ، واستطاعة السلطة أن تحدث التوازن بين هاتين القوتين بالرغم من اختلاف طبيعتهما وأفكارهما[5].

ونذكر بأن الصراع الذي كان بين السلطة والصوفية في عهد الموحدين الذي غالبا ما كان يقوم باعاز من الفقهاء، قد خبأ نتيجة اعتناق الفقهاء وغالبية الصوفية للمذهب المالكي فضلا على السياسة المرنة التي سلكها الخلفاء الحفصيون إزاء المالكية[6].

---

[1]-موسى لقبال، دور كتابة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس للهجري 11م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص410.

[2]-يحي الهويدي، تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية، مكتبة النهضة المصرية، د ط، 1965، ج1 ص297.

[3]- نفسه، ص297

[4]- الغزالي، المصدر السابق، ج1، ص31.

[5] -يحي الهويدي، المرجع السابق، ص296.

[6]- الفريد بيل، المرجع السابق، ص300.

وصفوة القول فإن علاقة المتصوفة بالسلطة خلال القرنين السادس والسابع للهجري إذا استثنينا عهد المرابطين، فإننا لا نكاد نعثر على صور اضطهاد المتصوفة من طرف السلطة أي استقرار العلاقة بين الفقهاء والسلطة من جهة والمتصوفة من جهة أخرى[1].

إن الحديث عن الهدوء في العلاقة بين الفقهاء والمتصوفة يقودنا إلى الاستنتاج القائل بأن مواطن الخلاف والصراع بين هاتين الطائفتين في بداية اللقاء بينهما سرعان ما أصبحت سببا في التلاقي، بينهما فمثلا لما استولى الموحدون على المغرب الأوسط أو أقصوا منه المرابطين والحماديين، اقروا فيه مذهبا عقديا مستمدا من مذهب الأشاعرة والمعتزلة، ومذهب أهل الظاهر[2]، وتبنوا نظريات الشيعة في الإمامة[3] والمهدوية[4] والعصمة وتشددوا في فرضه[5] الأمر الذي أدى إلى وقوع صراع مذهبي بين الصوفية الذين تحولوا إلى خندق واحد من فقهاء المالكية وأصبحوا على المذهب المالكي لأجل مواجهة فقهاء المذهب الظاهري[6]، هؤلاء الذين كانت تدعمهم القوة الحاكمة والذين سعوا في الدعوة إلى الأخذ بظاهر النص في الكتاب والسنة، ورفض التأويل والقياس[7].

وكذلك عرفت العلاقة تقاربا بين الصوفية والفقهاء، أملته ظروف الدولة الزيانية الناشئة، حيث كان هناك اتصال بين الفقهاء وبعض مشايخ التصوف لتقرير الفتاوى لهم، الأمر الذي كان سببا

---

[1]- الطاهر برنابي، التصوف في الجزائر، ص206.

[2]- عبد العزيز فلالي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص358.

[3]- يرى ابن تومرت بأن الإمامة ركن من أركان الدين وعمد من عمدة الشريعة ولا يصح قيام الحق في الدنيا إلا بها، ابن تومرت أعز ما يطلب، ص229.

[4]- يرى ابن تومرت أن من شك في المهدي كافر، وإن الإيمان به واجب، وأن الحق لا يقوم إلا بالمهدي الذي يرفع إلا باطل من الأرض، ابن تومرت، مصدر سابق، ص234.

[5]- عبد العزيز فلالي، تلمسان في العهد الزناتي (دراسة سياسية وعمرانية واجتماعية وثقافية)، دكتوراه دولة معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1995، ج1، ص213.

[6]- أبو القاسم سعد بن أحمد الأندلسي، طبقات الأمم، تح: حياة العبيد بعلونن دار الطباعة والنشر، بيروت ط1، 1985، ص183.

[7]- ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، 1988، ج6، ص530.

في استقرار هؤلاء في المنطقة واتخاذها مركز لعملياتهم الفقهية والتدريسية[1]، وها دليل آخر على أن العلاقة تميزت في عمومها بالتعايش والتقارب بين الفرقتين، فالمتصوفة لم يرتكبوا ما يخالف الشريعة أو يثير ثائرة الفقهاء، وفي المقابل انكب الفقهاء وتسابقوا إلى الزهد في الحياة والإعراض عن ملذاتها بغية الجمع بين علم الروح والعلم الوضعي لأجل خدمة مصالح العامة والتقرب من الله عز وجل[2]، فهذه الخصال أكسبتهم قوة جدلية، بمعنى آخر كانوا يتقنون إقامة الحجة وأسلوب الإقناع ، وذلك بإتباع مراحل التصوف والاعتماد عليها فتميزوا بقوة الشخصية وإتباع الحق وقوله دون خوف لومة لائم.

إضافة إلى ما سبق ذكره من العوامل يمكن أن نقول بأن عامل الدفاع الديني والجهاد كان له دور في التجميع بين الطائفتين، فمن العوامل التي ساهمت في ازدهار النشاط العلمي، البقاء في الأربطة هاته القواعد التي كانت مخصصة لدرئ المخاطر الصليبية كانت تفرض على صاحبها قوة العبادة والاشتغال بها خصوصا وأن فقهاء المالكية كانوا من مرتديها[3].

وكان لهم دور في تشجيع هذه الحركة،فإضافة إلى أن جلهم كان آية في الزهد والعبادة حتى أن أغلب هذه الأربطة غلب عليها إتباع المذهب المالكي[4]. وأنهم أسهموا في دمج التصوف بالمالكية استنادا من قول مالك أحمد الله:"من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن جمع بينهما فقد تحقق"[5].

---

[1]- الطاهر برنابي، التصوف في الجزائر، ص213.

[2]- الغريني، المصدر السابق، ص149.

[3]- الدباغ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تح: إبراهيم شيوح مكتبة الخانجي، مصر، 1968، ج3، ص119.

[4]- الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص11.

[5] -شعيب زهرة وآخرون، المرجع السابق، ص11.

إن المقر الذي استقروا به وجمعهم وحماهم من المخاطر، كان مركز لتبادل المعارف وتعرفوا على خصائص الطرق الأخرى، أي أن المالكية أخذت عن الصوفية علم الباطن وهم يدورهم أخذوا عنهم علم الظاهر وبهذا كملا بعضهم البعض وأصبحا جزءا من أجزاء جسم واحد[1].

زد على ذلك السعي الذي قامت به طبقة الفقهاء والمتصوفة لأجل إحداث التوازن بين فئات المجتمع الواحد والقضاء على فوارقه الاجتماعية ونبذ العداوة والبغضاء بين مكوناته، كانت في جلها دروس وعظ ودعوة إلى التآخي ونبذ البغض والشحناء وهذا في ظل عناية من طرف أهل الحكم، كما حصل في عهد بنو مرين وبنو حفص[2].

إن الحديث عن التقاء أفكار الفقهاء والمتصوفة وسير روادهما في سكة واحدة لم يكن ليكون بالأمر الهين لمن يعرف تاريخ هاتين الحركتين. فبالرغم من الصراع الذي كان قائما بينهما في بداية التعارف.

المطلب الثالث: الأوضاع الاجتماعية والأهداف الدينية:

وما زاد من ترابط العلاقة بين المتصوفة والفقهاء واتساع جبهتهم في مواجهة الظاهرية، أن العامة كانت تلجأ إليهم في حل قضاياها الدينية والدنيوية وفقا لمذهب مالك[3]، وهذا دليل على أن التواصل والاندماج بين الفقه والتصوف بدأ يعرف أزهى فتراته، فقد علق الغريني على هذه العلاقات الطيبة، يقول "وهذا كمال حصل في الجانبين وجمال التقى من الطرفين"[4]. كل هذه الروايات والأحاديث والمقولات تعبر في مضمونها عن طيب العلاقة واستقرارها بعدما كانت تعرف صراعا كبيرا في الأصول والفروع بين هاتين الطائفتين إن صح القول.

[1]- شعيب زهرة وآخرون، المرجع السابق ، ص136.

[2]- الطاهر بونابي، الحركة الصوفية بالمغرب، ص215.

[3]-الغريني، المصدر السابق، ص66.

[4]- الغبريني ، المصدر السابق، ص73.

فحتى في مجال المصطلحات والألفاظ ظهر التقارب في العلاقات بين الفئتين فظهر على سبيل المثال مصطلح "الفقيه الصوفي" الذي يعني بأن الفقيه الذي اختص بعلم الفتاوى والتشريع أصبح يمارس التعبد وجهاد النفس في الخلوات والاقتداء بمذهب وطرائق الزهاد في أسلوب الحياة[1].

إضافة إلى سعي الفقهاء والمتصوفة إلى المحافظة على هيكل البنية الثقافية والفكرية.. بمقاييس حدود بلاد المغرب مع سلوك منهجية الأخذ بشمولية الامتداد الجغرافي للمنطقة[2].

ولاسيما وأن التيارين السني الفقهي والصوفي كانا متداخلين تدخلا شديدا إلى الدرجة التي يجمع فيه كثير من العباد المغاربة بين التصوف والسنة في آن واحد وكان كثير من أعلام التصوف المغربي هم في نفس الوقت من أعلام المالكية السنية المغربية على وجه العموم[3]، إضافة إلى كون التقارب بين التصوف والفقه يرجع إلى فترة الحكم الفاطمي هذا الأخير الذي عرف خلاله المذهب المالكي اضطهادا كبيرا دون أن ننسى السياسة الصارمة والعنيفة التي سلكها الفاطميون إزاء كل متقشف متصرف، هي وليدة مخاوفهم السياسية خشية أن تحمل نواة مشروع سياسي يهدد سلطتهم[4].

فكان من نتيجة ذلك أن جمع صوفية المغرب الأوسط بين الشريعة والتصوف، وقابلهم الفقهاء في ذلك يجمع التصوف مع الفقه وكل هذا كان في صالح المجتمع المغاربي الذي كانت بصمته الإسلامية في جانب العبادات والدين لا تقل عن بصمة نظير أنها في المشرق الإسلامي[5]، مع العلم أن الجانب التعليمي كان له دور في التقريب بين الفئتين، فبساطة العلم من خلال الجمع بين علم الظاهر(الفقه) وعلم الباطن(التصوف)[6].

بالرغم من أن الفقهاء والمتصوفة لم تكن علاقتهم في بدايتها قد عرفت الانسجام لكن يبدو أن فقهاء المالكية كانوا يعترفون بصحة منهج الصوفية، فلما سأل رجل أبو الفضل

---

[1]- الطاهر بونابي، الحركة الصوفية بالمغرب، ص211.

[2]- نفسه، ص107.

[3]- محمد بركات البيلي، المرجع السابق، ص106.

[4]- الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص318.

[5]- نجم الدين الهنتاتي، المرجع السابق، ص156.

[6]- الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص45.

الممسي(ت 333هـ) الذي كان من الصلاحاء والفقهاء على المذهب المالكي[1]، عن أبي جعفر القمودي[2] الذي كان من أشهر العباد (ت 224هـ/838م) قائلا "هل كان معه من العلم شيء" فأجابه أبو الفضل بقوله: "كان معه العلم النافع خلاف ما ترى أو فوق ما نحن عليه"[3] وهذا دليل آخر على التقارب الكبير بين هذين التيارين منذ نشأتهما في بلاد المغرب ناهيك عن ذلك التلاحم الذي حصل بين المتصوفة المغاربة وفقهاء المالكية في التصدي للزحف الشيعي العبيدي وقاومته مقاومة تشبه مقاومة الزهاد للتشيع[4] وذلك بالرغم من كل ما قيل عن وجود صلة بين التصوف والتشيع، فهذا الأمر لم يؤثر على نظرة الفقهاء المتصوفة، وذلك راجع إلى أغلب الظن إلى إتباع غالبية المتصوفة المغاربة للمذهب المالكي[5] كما وأن اصطباغ التصوف بصبغة مغربية خالصة على الرغم من اختلاف منبعه جعله جزء لا يتجزأ من فعاليات الحياة المغربية، وكانت صلته وطيدة بالفقه والتيار السني الذي لا يمكن أن تعكر صفوه خصومات.

والتلاقي لا يمكن أن يصدق بأنه أصبح سبب في التوافق والمسايرة بينهما، فمما سبق لنا ذكره يمكن أن نلخص عوامل التقارب بين الفقه والتصوف كالآتي:

- عامل سياسي: وهو تغير السلطة الحاكمة بسقوط حكم المرابطين وقيام دويلات جديدة سعت إلى كسب ود الفئتين والتقريب بينهما أمثال المرينيين والحفصيين[6] الذين تميز حكامهم بالورع والتقوى وحب تحصيل العلوم الدنيوية والدينية على حد سواء، الأحر الذي خلق انسجاما بين الفقه والتصوف.

---

[1]-المالكي أبي بكر عبد الله بن أحمد، رياض النفوسي في طبقات علماء القيروان في إفريقيا وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تح: بشير بكوش، دار الغرب الغسلامي، بيروت، ط2 1414هـ / 1994م ج2، ص292.

[2]- ابي جعفر القمودي، كان عابد وناسكا مجتهدا، تميز بالورع والاجتهاد تفقه في مذهب الإمام مالك، وافته المنية (224هـ/838م)، المالكي، نفسه، ج2، ص211.

[3]- القمودي ،المصدر السابق، ج2، ص223.

[4]- محمد بركات البيلي، المرجع السابق، ص106.

[5]-أبو لبابه حسين، موقف متصوفة إفريقية وزهادها من الاحتلال العبيدي، د، ط، د، ت، ص07.

[6]- الطاهر برنابي، التصوف في الجزائر، ص215.

- عامل اجتماعي: ويكمن هذا الأخير في دخول معتقدات وظواهر غريبة وشاذة عن أصول الدين الحنيف، الأحر الذي توجب استنفار قوى الإصلاح الديني ممثلة في الفقهاء والمتصوفة الذين حملوا لواء الدفاع عن ثوابت الدين والمجتمع المغاربي[1] حفاظا على هويته من خلال توحيد القوى للقضاء على هذه المظاهر البدعوية.

- عامل فكري: إن مرحلة التقارب والتوافق بين هاتين الفئتين دفعت بكل منهما لأجل الاضطلاع على أفكار الآخر وإتباع سبله والحرص على فهم متطلباته ومشار به، فانعكس إيجابا على العلاقة بينها.

المبحث الثاني: مظاهر وصور التقارب الفقهي الصوفي في بلاد المغرب الإسلامي:

سبق لنا الحديث عن العوامل التي ساهمت في نبذ الخلاف بين قوتين وبنيتين لهما من المكانة في أواسط المجتمع المغربي لا يمكن إنكارها.

ومن أهم صور التواصل والتلاقي بين هاتين الفئتين خاصة في الجانب الفقهي أو الديني نذكر على سبيل المثال مجموعة من الأمثلة:

المطلب الاول: حركة التأليف الفقهية الصوفية:

ففي قضية إتباع الموحدين مذهبا عقديا استمدت أفكاره من مذهب الأشاعرة وأهل الظاهر، وتبنيهم نظريات الشيعة، دعى ذلك إلى تحرك الصوفية من أجل التصدي لفكرهم ودعوتهم التي نادت برفض التأويل والقياس والاعتماد على الأخذ بظاهر النص والكتاب والسنة خاصة عندما نشر أبي محمد علي ابن حزم كتابه وآراءه[2] فرد عليه أبو الحسن المسيلي بتأليف كتاب "النبراس في الرد على منكر القياس"، هاجم فيه فقهاء المذهب الظاهر ودعا إلى فتح باب الاجتهاد[3]، إضافة إلى ذلك انتصاب أبي مدين شعيب لتقرير الفتاوى على مذهب الإمام مالك بجسارة، معتبرا ظهور

[1]- الغريني، المصدر السابق، ص320.

[2]-أبو القاسم ابن أحمد الأندلسي الصاعد، طبقات الأمم، تح: حياة العيد بعلوان، دار الطباعة والنشر، بيروت، د ط 1985، ص181.

[3]- عبد الله كنون، المرجع السابق، ص122.

دجاجلة الدين الفتانون نتيجة منطقية للسيادة التي تمتع بها فقهاء المذهب الظاهر بقوله: "بفساد الخاصة يظهر دجاجلة الدين الفتانون"[1]

إضافة إلى ذلك تأليفات أبو زكريا يحيا الزواوي التي كانت مخصصة للرد على بعض مشايخ المذهب الظاهري لكتاب "حجة الأيام وقدوة الأنام"[2].

وما زاد من قوة الصوفية في مواجهة فقهاء الظاهر أن العامة كانت تلجأ إليهم طلبا للفتاوى والحلول الدينية والدنيوية وفقا لمذهب إمام المدينة مالك، ومن هنا شعر فقهاء الظاهر بانكماش حجم مذهبهم وتقلص عدد أتباعهم، وإن مركزهم أصبح مهدد على كافة الجبهات[3]، خاصة مع التضامن الذي لقيه المتصوفة من رواد الفقه المالكي والذي كان دعاته في صراع أيضا مع الظاهرية وذلك منذ البدايات الأولى لهذين المذهبين، حيث يلاحظ أن فقهاء المالكية لم يخفوا امتعاضهم الكبير من الفكر الأشعري الظاهري الذي كان قائم على فكرة الأخذ بظاهر النصوص وهو ما لم يستسغه المالكيون، مع إدراكهم بخطورة إتباع هذا المذهب وقدرتهم الكبيرة على فن الجدال، حيث كتب ابن فروخ للإمام مالك كتابا يخبره فيه بانتشار أفكار الخوارج والمعتزلة وغيرهما، وبأنه قد ألف كلاما في الرد عليهم، كتب إليه مالك رسالة نهاه فيها عن ذلك، وأحرى بأن: "لا يرد عليهم إلا من كان ضابطا عارفا بما لهم، ليس يقدروا بأن يعرجوا عليه..."[4]

ومن لا تتوفر فيه الشروط لا ينبغي له ذلك، مخافة أن يخطئ أثناء الرد عليهم[5]، فهذا الكلام من الإمام مالك يرجع إلى معرفته بمخاطر هاته الفرقة وضعف علماء المالكية في فن الكلام فأصبح من الضروري الإحاطة بفن علم الكلام والتفقه في الدين وإتباع منهج المتصوفة، وذلك لأجل درئ

---

[1]- الغريني، المصدر السابق، ص66.

[2]- نفسه، ص217.

[3]-الطاهر بونابي، الحركة الصوفية بالمغرب الأوسط، ص210.

[4]-القاض عياض ابن مرسي بن عياض السبتي، تراجم أغلبية متخرجة من مدراك القاضي عياض، تح: محمد طالبي نشر الجامعة التونسية، د ط، 1986، ص48.

[5]-القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام ومذهب مالك، تح: محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، ج3، ص115.

الفتن ومجابهة المبتدعة، فنذكر أبو عبد الله بن سعدون بن علي بن بلال القروي (ت 486هـ/1093م)[1]، وهذه الشخصية تعد من الفقهاء الحفاظ وهو كذلك من الشخصيات التي تمكنت من علم الأصول، وأبو محمد عبد الحميد بن محمد المغربي المعروف بابن الصائغ (ت 486هـ/1093م) الذي جمع بين الورع والصلع والفقه المالكي وكان فهيما في الأصول، وكان قوي العارضة لتمكنه من فن المناظرة والجدل ونلتمس ذلك في مؤلفاته[2] كل هؤلاء العلماء بالرغم من تخصصهم في اتجاه ديني معين إلا أنهم استطاعوا الجمع بين الفقه والتصوف ويظهر ذلك من خلال مؤلفاتهم وحتى شخصياتهم حيث أخذوا الفقه المالكي وصفة التصوف واضطلعوا بمذهب الظاهر وذلك لأجل تقديم العون والنصح ومجاهدة البدع[3].

المطلب الثاني: تداخل المظاهر والممارسات الدينية:

لقد كانت الطائفة الصوفية في الكثير من الليالي تجتمع عند واحد من الناس مشكلين مجلس يفتتحونه بالذكر على صوت واحد ثم ينتقلون بعد ذلك إلى الغناء[4] والضرب بالأكف والشطح[5] وسيره هكذا إلى آخر الليل[6] وبعدها يأكلون بذلك طعاما يعده لهم صاحب البيت المجتمعين فيه وتعرف هذه اللمة أو المجلس بالحضرة. كما يشاركهم في ذلك الفقهاء[7]، وهذه الممارسات بالرغم بالرغم من الاختلاف في شرعيتها عند الفقهاء إلا أنه قيل فيها أن القلوب تستلذ وتشتاق إلى الأصوات الطيبة وحتى الأطفال يسكنون إلى الصوت الطيب، لقوله تعالى: ﴿ۚ ... يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا

---

[1]- ابن فرحون، المصدر السابق، ص239.

[2]- الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص201.

[3]- محمد الشاذلي النيفر، المازري الفقيه والمتكلم كتابة المعلم، المطبعة العصرية، تونس، د، ط،2005، ص40.

[4]- ابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، مج5، ج37، دار صادر، بيروت، د ط، د ت ص3308.

[5]- الطوسي، اللمع، ص450.

[6]- الونشريسي، المصدر السابق، ج1، ص39.

[7]- نفسه، ص39.

يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١﴾ ﴾ "[1]، وفي معناها أي الآية هو الصوت الحسن[2] كل هذه الممارسات

الصوفية كانت تلقى ترحابا لدى مجمع الفقهاء، بل وكانوا في مرات عديدة يشتركون في تأديتها، فهي في نظرهم من درجات الوصول إلى المحبة والعشق الإلهي، الذي تكون فيه النفس ميتة أو القلب حي لقوله تعالى: ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ ... ﴿٢١﴾ ﴾[3] وكان كثير من المتصوفة المغاربة من الفقهاء وأهل العلم، وكان أكثرهم من المالكية، ولم ينشأ بينهم وبين الفقهاء من غير المتصوفة الفقهاء منهم والمحدثين علاقات علم يلتف فيها الدارسون حولها ويتعلم فيها أهل المغرب أمور دينهم وشيء من علوم التصوف، فعلى سبيل المثال، كان لأبي سنان زيد بن سنان طلاب يدرسون عليه العلم وكان يؤثر فيهم بشدة تواضعه الذي بلغ أنه كان يحمل خبزه على يده إلى الفرن فيراوده الطلبة على أن يحملوا له الخبز إلى الفرن فيأبى إلا أن يحمله بنفسه[4]، وكان حماس حماس بن مروان الناسك حلقة علم يعلم فيها الفقه، دخل عليه فيها ذات يوم أبو هارون الأندلسي مرتديا مرقعة الصوف، فقام له حماس احتراما وأجلسه في موضعه وحول وجه إليه وجس أبو هارون معه ساعة ثم خرج فقام حماس معه، فسأل الطلبة أستاذهم عن هدا الرجل الذي قام له وأجلسه موضعه، فقال لهم حماس بن مروان: هذا أبو هارون الأندلسي من الأبدال[5]. ففي مثل هذه الحلقات والمجالس كان يدرس علم التصوف والفقه الأمر الذي جلب أعدادا غفيرة من أهل المغرب،[6]

---

[1]- سورة فاطر، الآية 1.

[2]-القشيري، الرسالة القشيرية ص547.

[3]-سورة الإسراء، الآية 21.

[4]-المالكي، المصدر السابق، ج1، ص516.

[5]-نفسه، ج2، ص271.

[6]-محمد بركات البيلي، المرجع سابق، ص104.

وهذا أبرز السمات التي عرفها المغرب عكس المشرق فهو لم يشهد نفس الصراع بينهما في المشرق العربي، فقد عرف القرن السابع، الثامن والتاسع للهجري متصوفين متمسكين بالكتاب والسنة مبتعدين عن التصوف الفلسفي متشبعين بالفقه[1]، فالفقهاء المتصوفة أصبحوا يمثلون ملاذ المثال للمظاليم ودرعا حاميا لمصالحهم وحقوقهم، فعلى سبيل المثال جاء رجل إلى رباح بن يزيد يشكو إليه سعيد ابن لبيد كبير رجال يزيد بن حاتم أمير إفريقية في وقته، وقال الشاكي أن ابن لبيد أخذ منه جاريته، فأخذ رباح بن يزيد عصاه وانطلق مع الرجل الشاكي إلى دار سعيد ابن لبيد وأمره برد الجارية إلى سيدها فنزل سعيد على أمره وقام برد الجارية[2] وكان حماس بن مروان لا يهاب في الحق أحد من الناس ولا يداريه حتى وإن قاده إلى معادان الأمراء[3]. وكان أبو جعفر القمودي يدفع الظلم عن من يلجأ إليه من المتضررين من مظالم الحكام طالبين منه أن يدفع عنهم ظلماتهم[4].

وهكذا كان دورهم الاجتماعي في التدريس وحفظ الحقوق ونبذ الخلاف والشقاق بين فئات المجتمع الواحد[5].

المطلب الثالث: ظهور شخصية الفقيه الصوفي:

وذا استرسلنا في الحديث عن المقاومة التي مارسها الفقهاء والمتصوفة للانتشار الشيعي العبيد لا يمكننا أن نقلل من أهمية دور أي منهما، وعلى الرغم من قول بعض المؤرخين بوجود صلة بين التصوف والتشيع العبيدي، فهذا العداء لم يكن مرجعه إتباع غالبية المتصوفة المغاربة للمذهب المالكي فقط[6] وإنما مرجعه أيضا إلى أن التصوف المغربي رغم ظهوره من اتجاهين أحدهما مشرقي وافد والآخر مغربي محلي لم يلبث أن جعل الصلة وطيدة بين التيار السني والتصوف المغربي، لا يمكن أن تعكر صفوها حينذاك خصومات ولا نزاعات بينما جاء التشيع العبيدي دخيلا على البلاد

[1]-الطاهر بونابي، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط، ص498.

[2]- القاضي عياض، تراجم أغلبية، ص311.

[3]- المالكي، المصدر السابق، ج2، ص323.

[4]- نفسه، ج2، ص09.

[5]- محمد بركات البيلي، المرجع السابق، ص323.

[6]- أبو لبابة حسين، المرجع السابق، ص07.

تتجافه العقلية المغربية وترفضه، فكان من الطبيعي تعاون التياران المغربيان السني والصوفي في مقاومة الابتداع الشيعي لاسيما التداخل الشديد بين التصوف والسنة لدى كثير من العباد المغاربة، وكان كثير من أعلام التصوف المغربي في نفس الوقت من أعلام المالكية أو السنية المغربية على وجه العموم[1] فعلى سبيل المثال كان جبلة بن حمود الصدفي المتصوف المغربي واحدا ممن قاوموا الشيعة العبيدية وكان يكاشفهم العداء دون أن يخاف، بل إنه ترك الرباط في الثغر معلنا أن التصدي للشيعة العبيدية أكثر وجوبا منه[2].

وكان أيضا أبو إسحاق إبراهيم الدمني مؤسس مسجد الخميس بدمنة يطعن في الدولة الشيعية[3]. وكان من المتصوفة الذين قاوموا الشيعة العبيدية حسين بن مفرج، مولى مهرية بنت الأغلب، وكان من أكبر المتصوفة، وقيل أنه خرج مع جماعة عبيد الله المهدي فقتله بسبب تفضيله بعض الصحابة على علي بن أبي طالب مخالفا بذلك مذهب الشيعة الإسماعيلية[4].

وممن قاومهم أيضا أبو الفضل العباسي بن عيسى الممسي، كان من كبار فقهاء المالكية ورعا زاهدا مجتهدا، لكنه مال إلى التصوف بعد عودته من الحج إذ لزم الانقباض والنسك ثم خرج على بني عبيد مع أبي يزيد مخلد بن كيراد لكنه قتل سنة 333هـ[5]، أما أبو عبد الله محمد بن عبد الله السدري الذي كان قد بلغ في التصوف مرتبة البدلية معدودا من أولياء الله عز وجل، فقد بايع أهل إفريقية على جهاد عبيد الله المهدي، ولما بلغه ذلك أرسل إليه لكن أبا عبد الله السدري فر إلى مكة، وعاد بعد مدة فألقي عليه القبض ووقف بين عبيد الله ، فأقر بشتمه للعبيدين وشنع عليهم فأمر المهدي بقتله سنة 309هـ[6]، كما نذكر أيضا أبو سليمان أبيع القطان والذي كان من الفقهاء المعدودين والعباد المجتهدين والنساك المتصوفة أهل الورع والدين، لزم الانقباض وذهب إلى

---

[1]-محمد بركات البيلي، المرجع السابق، ص106.

[2]-المالكي، المصدر السابق، ج2، ص72.

3- نفسه، ج2، ص138.

[4]-الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص353.

[5] المالكي، المصدر السابق،ج1، ص166

[6]-القاض عياض، تراجم أغلبية، ص297.

العلم الباطن والنسك والعبادة وتلاوة القرآن وتفهمه على طريق أهل الإرادة وصار داعية إليه، وكانت له حلقة بجامع القيروان، وكان لسان أهل إفريقية في الزهد والرقة والكلام على الأحوال والمقامات انتفع في ذلك بحبة أبي الحسن علي بن سهل الدينوري وأبي علي ابن الكاتب وأبي علي الرزباري وغيرهم ممن قتل معهم في واد الملح في حصار المهدية سنة 114هـ[1]، كما قاومهم كل من أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد السيائي وأبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن علي بن مسلم الجبنياني، وهو من أحد أئمة المسلمين وأولياء الله الصالحين فقد كان مخالفين للشيعة محاربين لأفكارها رافضين سياستها حتى وصل الأمر بهما إلى خوف الشيعة منهما[2].

مما سبق يتضح لنا بشكل جلي وواضح أهمية الدور الذي قام به كل من الفقهاء والمتصوفة في الحياة المغربية، وخاصة مع ظهور التوافق الكبير بينهما والدور الذي لعباه في تطور الحياة الفكرية والدينية ببلاد المغرب فتزايد أعداد المتصوفة الفقهاء باضطراد، ويظهر ذلك في المصادر المغربية التي تناولت تراجم المتصوفة الفقهاء وحتى الفقهاء نفسهم[3].

وفي ما يلي نستعرض مجموعة من أهم المتصوفة الذين جمعوا الفقه بالتصوف فنذكر منهم أبو إسحاق إبراهيم الدمني الذي بنى مسجد الخميس كما وسبق الذكر، وكان يعقد فيه كل يوم خميس مجلسا للذكر والدعاء من العصر إلى الليل[4].

ونذكر أيضا أبو عبد الله محمد بن عبد الله السيوري وكان فقيها ناسكا من العباد الزهاد ومن البدلائي المريدين العامل ينتحل التوكل كثير الحج والأسفار والتغرب عن الأوطان والسياحة[5].

---

[1]-القاض عياض، ترتيب المدارك، ج5،ص297.

[2]-المالكي، المصدر السابق، ج1، ص194.

[3]-محمد بركات البيلي، المرجع السابق، ص109.

[4]-المالكي، المصدر السابق، ج2، ص166.

[5]-نفسه، ص137.

وكان منهم أيضا أبو القاسم عبد الوهاب بن نصر المتعبد وصف بأنه مجاب الدعوة ممن له علم وعمل، كانت له ملاحة في العباد وحلاوة في النساك، كثيرا الرباط والسياحة. توفي سنة 330هـ[1].

وكان منهم أيضا أبو سليمان ربيع القطان كان من الفقهاء المعروفين والعباد المجتهدين والنساك أهل الورع والدين، وكان في وقته لسان إفريقية في الزهد والرقائق والكلام على الأحوال والمقامات لا يفوقه في ذلك أحد من زمانه، كان أبو علي الكاتب يقول فيه: ما رأيت رجل جعل رجله الأولى في أول درجة من علم التصوف وجعل رجله الثانية في أعلى درجة منه إلا ربيعا القطان كأنما جاءه الأمر دفعة من الله تعالى. وكانت له حلقة يدرس فيهل علم التصوف وقد نحل جسمه ورق عظمه من صيام النهار وقيام الليل مقسما أن لا ينام أو يأكل حتلى يقطع الله دولة بني عبيد[2].

إضافة إلى التعاون الذي كان بين الفئتين والتقارب سواء في التعليم والحركة الثقافية أو من جانب الرد عن البدع والشعوذات، ومقارعة الشيعة العبيدية التي رمت بكل أثقالها من أجل تحصيل مركز هام في المجتمع المغربي فذكر أيضا تقاربهم في المجال الجامع بين أصول الفقه المالكي وعلم الكلام والزهد والورع والعبادة، حيث كان يقول في ذلك "ليس الفقه حمل الفقه إنما الفقه معرفة الفقه والفطنة فيه والفهم لمعانيه"[3] فهذا يعني الوصول إلى التوحيد والمعرفة التي هي الغابة المطلوبة للسعادة، وأصلها كله الطاعة والإخلاص، وغاية أهل العبادات إذ لم ينتهوا إلى هذا النوع، أنهم يأتون بالطاعات مخلصة من نظر الفقه في الإجزاء والامتثال[4] كذلك أبو الوليد الباحي (474هـ) الذي كان زاهدا زرعا، متفقها بالفقه المالكي[5].

---

[1]-القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج134.

[2]-المالكي، المصدر السابق، ج2، ص323.

[3]- نفسه، ج،2 86.

[4]-ابن خلدون، المقدمة، ج5، ص585.

[5]-ابن فرحون، المصدر السابق، ج1، ص379.

وعمل على نشر هذه الخصال وتعريف الناس بها، زد على ذلك أبو بكر بن الغربي (543هـ) الذي جمع بين الاتجاهات الثلاثة وقال ابن من يتمذهب بالمالكية عليه أن يكون متصوفا أو أشهريا[1].

إن الوفاق بين الفقهاء والصوفية كان يظهر باعتراف فقهاء المالكية بصحة منهج الصوفية بالرغم من اتباين في السلوك والتفكير بينهما[2] فألف الفقهاء كتب العلوم والمدونات في الفقه وأصوله والكلام والتفسير وغير ذلك ومنهم من كتب في الورع ومحاسبة النفس على الاقتداء بالأخذ والترك حتى صار علم التصوف في الملة علما مدونا، بعد أم كانت الطريقة عبادة فقط وكانت أحكامها أنها تتلقى من صدور الرجال[3] ثم إن هذه المجاهدة والذكرى ليس لصاحب الحس إدراك شيء منها، وسبب هذا الكشف أن الروح إذا رجع عن الحس الظاهر إلى الباطن ضعفت أقواله وقويت أحوال الروح وهذه الصفات أصبحت سمة بارزة لدى الفقهاء الصوفية والعكس.[4]

إن مظاهر التوافق لم تخرج في معظمها عن أسبابه وعن العوامل التي أدت بالطائفتين الفقهية والصوفية إلى تقريب الخطى وتسديد وجهات النظر في قضايا المجتمع المغاربي على اختلاف طبيعتها، سواء أكانت دينية أو دنيوية بغية الارتقاء بالحياة الفكرية والوصول إلى الدرجات العلى في فهم حقائق الوجود وتحصيل العلوم الربانية للالتحاق بمصاف الأنبياء والرسل.[5]

المبحث3: نتائج وآثار التقارب الفقهي الصوفي:

المطلب الأول الحياة الاجتماعية والفكرية:

يمكن القول بأن آثار التوافق في الأفكار والاتجاهات بين الفقهاء والمتصوفة قد ألقى بظلاله على كافة مناهج الحياة وأركانها سواء الدينية أو العلمية أو الاقتصادية أو حتى السياسية. فمثلا لم يكن

[1]- ابن فرحون، المصدر السابق، ج1، ص427.
[2]-شعيب زهرة وآخرون، المرجع السابق، ص128.
[3]-ابن خلدون، المقدمة، ج5، ص586.
[4]- نفسه،ج5، ص587.
[5]-لمياء عز الدين الصباغ، المرجع السابق، ص09.

بنو مرين أصحاب فكرة من حيث الفقه والعقائد واصحاب اصلاح ديني، ولتركيز سلطتهم وتعليل اسلائهم على الحكم راو النهم بحاجة الى كسب دعم وتاييد ديني ودعم من وجاهات، وتقربوا الى العلاماء والشرفاء والمشايخ[1]، مما ادى الى ذلك التعزيز بما خص موقف الصوفية والفقهاء في المجتمع، واصبحوا ينالون الحضوة والمكانة لدى السلاطين والخلفاء، ونالوا المكانة الرفيعة[2]وهذا المر ان دل على شيء انما يدل على قيمتهم الكبرى ومركزهم العالي في نظر السلاطين الذين وان كانت غايتهم من هذا التقرب توظيف مركزهم الاجتماعي لخدمة مصالحهم من اجل بقائهم للحكم[3]، خاصة مع معرفة هؤولاء بان الصوفية كانوا يرفضون مظاهر البذخ وبهرج الحياة الدنيا التي كانت تمثل واقع حياة السلاطين فعملوا على كسب ودهم بدل الدخول معهم في استدام مباشر، وان كانت الغلبة فيه معظم الوقت للسلاطين[4]، لكن التغير الجذري الذي عرفته العلاقة بين السلطة والمتصوفة انعكس ايضا على العلاقة مع الفقهاء، واصبحت المراتب متوازنة والمقامات متقاربة، والعلوم متداخلة وحتى الشخصيات متمازجة، وهذا فقيه نال حضوته من التعبد والتنسك، وهذا صوفي تفقه في الدين وتعلم الفتوى ونال المراد[5]، فاضاة الى السعي المباشر لدولة الحفصيين في تقريب وجهات النظر بين الطائفتين الفقهية والصوفية بشكل مقصود، اذكر ايضا عاملا اخر في الجانب السياسي انعكس على ذلك، وهو محاربة سياسية الامراء الموحدين الذين استولوا على السلطة وفرضوا مذهب الاشاعرة العبيدية، ما ادى الى تخندق الصوفية الذين كانوا على المذهب المالكي مع الفقهاء المالكية في صد هذا الخطر الشيعي[6]، برغم من السياسات

---

[1]-محمد القبلي، المرجع السابق، ص 87.

[2]-نظال مؤيد مال الله عزيز الاعرجي، الدولة المارديّة على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني، 685هـ- 706هـ 1286م- 1306م، دراسة سياسية حضارية، رسالة ماجستر جامعة الموصل، 1425هـ/2004م، ص118.

[3]-نفسه، ص 98.

[4]-فاطمة الزهراء جدو، السلطة ولمتسوفة في الاندلس عهد المرابطين والموحدين (479هـ- 635هـ/1086م-1238م) مذكرة شهادة ماجستير جامعة منتوري قسنطينة، 2007،-2008م، ص 19.

[5]-الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر، ص 212.

[6]-فاطمة الزهراء جدو، المرجع السابق، ص 110.

التعسفية والجائرة التي مارستها السلطة في حق هاتين الفئتين، لكن رب ضرة نافعة، فنتائج هذه السياسة لم تقضي على شوكة الفقهاء والمتصوفة بل زادت من التقريب بينهما وتحسين العلاقة التي انعكست ايجابا على الحياة الدينية في بلاد المغرب[1]، وتناسي الخلافات السابقة بينهما، خاصة مع الدعم الشعبي والجماهيري الذي لاقته هاته الحركتان من طرف العامة، وذلك اعترافا من المجتمع بأشخاص برهنو من خلال سلوكهم عن جدارة مكانتهم، فضلا عن الدور الاجتماعي والأخلاقي والتربوي الذي لعبوه لمجتمعهم[2] ، فقد الفوا الكتب وأقاموا المناضرات برعاية السلاطين، ومجالس العلم وحلقات الذكر في القصور والمساجد على حد سواء، وهذا دليل اخر على المظاهر والنتائج التي خلفها التلاقي والتوافق بين الطائفتين تحت رعاية السلطة، لتكون وعاءا قادرا على استيعاب قضايا الدولة والمجتمع[3]، الوضع الجديد ساهم في الاستقرار السياسية في المنطقة حخاص مع السايسة المذهبية المزدوجة في فترة حكم آل حفص وآل زيدجان الذين لم يتشددون في فرض مذهب الموحدين ،وفي الوقت نفسه سمحوا للمذهب المالكي بالعودة للصدارة وللمتصوفة بممارسة طقوسهم دون مراقبة الامر الذي جعل العلاقة تتميز بانفتاح الطرفين على بعضهما البعض[4]، ان الحديث عن النتائج وانعكاسات العلاقة الطيبة على الحياة السياسية في بلاد المغرب لا يمكن حصره في مجموعة من السطور، وهذا بسبب اتساعها وكثرة رواياتها.

المطلب الثاني: الجانب الحضار:

اما فيما يخص الجانب الحضاري فالتوافق الفقهي الصوفي كانت له اسهامات وأثار مست العلوم النقلية والعقلية، فعلم القرآن والتفسير نال حصة الاسد لأهميته الكبرى في علم الشريعة وتربية النفس وتهذيبها، وكان يدرس في الكتاتيب والمساجد والرباطات والزوايا لقراءاته المتعددة[5]

[1]-نضال مؤيد مال الله، المرجع السابق، ص 117.

[2]- نفسه ، ص 279.

[3]- الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر، ص 135.

[4]- الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص 187.

[5]- ابن خلدون، المقدمة، ص 278.

وتفاسيره المختلفة[1]، فظهر في علم القراءات[2]، بتلمسان جماعة من الصوفية اتقنوا القراءات امثال ابراهيم بن يسول الاشبيلي[3]، وأبي اسحاق الطيار ومتقن القراءات السبع ابي عبد الله بن الحجام وشيخ اهل تلمسان في هذا الفن ابن يوسف يعقوب الصنهاجي (ت 6 هـــ)[4]، كل هذه الاثراءات والتطور الكبير لعدد القراء والمختصين بعلم القران وتفسيره لم يكن ليصل ال هذا المبلغ لو بقي الوضع متوترا بين المتصوفة والفقهاء، فكانت الكتابات والاختصارات لأمهات الكتب في هذا التخصص قد دفع بالعامة وطلاب العلم للاقبال على التفسير والقراءات، من الامثلةو على ذلك اختصار ابي العباس احمد بن محمد المعافري (ق 07 هـــ) لكتاب "التيسير في القراءات) لأبي عمار الداني[5]، كذلك من اثار التقارب توسع الحركة التاليفية لجميع المجالات على اختلاف مشاربها، فالفت كتب في الحديث ككتاب "الجمع بين الصحيحين" وكتاب "المرشد" الذي جمع صاحبه ابو محمد عبد الحق احاديث مسلم والبخاري واضاف اليها احاديث صحيحة من كتاب ابي داود وكتاب الترميذي[6]، وكتاب "الاعلام لفوائد الاعلام والأحكام" لصوفيابو عبد الله محمد بن أحمد القلعي (ت. 628هـــ)[7]، وكذلك كتاب "العروة الوثقى لبيان السنن للعلوم وما يجب على المسلم المسلم ان يعلمه ويعتقده"[8]، لصاحبه ابوة الحسن علي الششتري فضلا عن الكتب التي لا يسعنا ذكرها كلها، كما اهتم الصوفية بالفقه لتنظيم حياة الفرد الدينية والاجتماعية والبحث في الفرائض والكبائر والصغائر وعقوباتها[9] من اجل القضاء على انتشار الرذائل وصون الحياة الاجتماعية في

---

[1]- ابن خلدون، المقدمة، ص 279.

[2] -القراءات: وضعت لتسهيل النطق الصحيح في الفاض القرآن دون الاخلال بمعناه. عبد العزيز فيلالي، تلمسان، ج2، ص 420.

[3]-ابن الزيات، المصدر السابق، ص 288.

[4]-يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 102.

[5]-الغربيني، المصدر السابق، ص 176.

[6]-ابن فرحون، المصدر السابق، ص 176.

[7]-ابن الآبار، المصدر السابق، ج1، ص 628.

[8]-المقري، المصدر السابق، ج2، ص 186.

[9]-عبد العزيز فيلالي، تلمسان، ج2، ص 431.

اطار المقومات الشرعية، ومن هذا المنظور تواصل تدريس مذهب الامام مالك والاهتمام بكتاب الموطا، وغيره من الكتب الفقهية المالكية كمدونة الامام سحنون، وتهذب ابي سعيد البرادعي الذي هو تلخيص الكتاب المختصر لأبي زيد القيرواني[1].

اضافة الى اسهاماتهم العلوم العقلية والذي اختصر على التدريس والتاليف فيما يحتاجه العامة من امور الدينهم ودنياهم كعلم المنطق[2]، والعلوم العددية المتمثلة بعلم الحساب والفرائض[3]، اضافة اضافة الى انتشار المنطق والجدل مع بداية القرن السابع الهجري الثالث عشر للميلادي[4].

اضافة الى انتشار التاليف في النثر والشعر والتاريخ، والعلوم العددية والطب، كل هذه العلوم نالت مكانة كبيرة وحيزا هاما في المجتمع المغاربي ابان مرحلة التوافق والتقارب الذي عرفته العلاقات بين الصوفية والفقهاء وقد تميزت بطابع الدقة الكبير والتخصص المهم في امورها[5].

المطلب الثالث: الجانب العمراني.

ان الحديث عن الحياة العمرانية وتأثيرات التقارب عليها كان اثره واضحا جليا تميز بانشار الزوايا التي عرفت تطورا كبيرا، وأصبحت تبنى قرب المساجد لتضطلع بوضيفة الايواء والإطعام للمسافرين وأبناء السبيل والمحتاجين وطلبة العلم على اختلافهم وذلك خلال القرن الثامن للهجري الرابع عشر ميلادي، والدليل على ذلك شهادة ابي عبد الله محمد بن ابي بكر القائلة "والظاهر ان الزوايا في المغرب، هي المواضع معدة لازقاع الواردين، واطعام المحتاجين من القاصدين[6].

---

[1]- اين خلدون، المقدمة، ص 285.

[2]- نفسه، ص 380.

[3]- علم الفرائض: يجمع بين علم المعقول والمنقول ويتوصل به إلى الحقوق في المواريث بوجوه صحيحة يقينية، ابن خلدون المقدمة، ص 308.

[4]- الغبريني، المصدر السابق، ص 103.

[5]- نفسه، ص 100.

[6]- ابن مرزوق ابو عبد الله محمد الخطيب، المسند الصحيح، الحسن في ماثر مولانا ابي الحسن، تح: ماريا خيسوس بيقيرا الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1381هـ-1981م، ص 431.

كذلك اصبح لزاوية مكانة خاصة لدى العامة من الناس وأصبحت تلاقي الترحيب من الفقهاء مع بداية القرن 07 هـ - 18م، وهو مقصد الناس لزيارة الشيخ الصوفي والتبرك به، التماسا لدعاء، وفي حالة موته يدفن فيها وتنتقل ادارة الزاوية وتعليم المردين الى احد ابنائه او اقاربه[1].

وصفوة القول وخلاصته بان الزوايا ساهمة بشكل كبير في جوانب تعليمية من خلال تدريس العلوم النقلية والعقلية بمشاركة المسجد بعضا من وظائفه الاساسية خاصة تعميم التعليم لدى الشرائح الدينية للمجتمع بالمغرب الاوسط وانتشار التصوف بشكل اكبر من السابق[2] وأصبحت قبلة للناس لطرح قضاياهم، وملاذهم وقت النوائب، فبادر بعض السلاطين الى تاسيس وبناء الزوايا والسعي في انجاح دورها الدني والتعليمي وتعميمه في جميع ربوع البلاد، التماسا لرضى الرعية، وتنشيط الحياة الثقافية وأركانها من ناحية اخرى[3] .

كانت هذه جملة من اهم النتائج والاثار التي ترتبت عن السلمية في العلاقة بين المتصوفة والفقهاء والتي تميزت بايجابية كبيرة في تاسيس شخصية مغاربية جمعت الفقه والتصوف كوجهان لعملة واحدة .

[1]- الفرد بال، المرجع السابق، ص 390.

[2]- عبد العزيز الفلالي، تلمسان، ج1، ص 141.

[3]- الطاهر بونابي، الحركة الصوفية بالمغرب، ص 227.

خاتمة

من خلال دراستنا لتطور العلاقة بين الفقه والتصوف في المغرب الإسلامي من القرن 6هـ-9هـ توصلنا الى مجموعة من النتائج والإستنتاجات كانت كالتالي:

عرفت بلاد المغرب دخول الفقه منذ الفتح الإسلامي كونه من أهم العلوم التي تعنى بالأحكام الشرعية وتنظم التعاملات بين الأفراد.

مر على بلاد المغرب كنظيرتها من المشرق مجموعة من المذاهب المختلفة كان أبرزها المذهب المالكي والظاهري والاباضي .

إقتصر المذهب الظاهري على بيت الحاكم والخلفاء،في حين أن المذهب المالكي قد كان أكثر إنتشارا لدى العامة نظرا ليسره وسهولة وصوله الى الناس اضافة الى المذهب الاباضي الذي لم يكن انشاره بالهين.

ظهر التصوف كاتجاه ديني استطاع فرض نفسه على الساحة الاسلامية مشرقا ومغربا.

يعتبر التصوف في مضمونه إنقطاعا الى الله عن الحياة الدنيا وملذاتها لنيل الرضا عن النفس .

عرف التصوف نوعين في الجانب الإسلامي ،التصوف السني القائم على القران والسنة والتصوف الفلسفي القائم بالبحث فيما وراء الطبيعة .

ظهر التصوف في بلاد المغرب كامتداد لحركة الزهد و لم يظهر بمسماه المطلق إلا مع بدايات القرن السادس هجري باجماع اغلب المؤرخين.

نضرا للطبيعة الدينية لكل من الفقه والتصوف كان لابد من حصول تصادم وتلاقي بينهما بحكم طبيعتهما .

تميزت المرحلة الاولى بالعلاقة بين الفقه والتصوف بالصراع واختلاف وجهات النظر وذلك بسب مجموعة من العوامل ، تنوعت بين سياسية وفكرية واجتماعية .

تعددت مظاهر الصراع بين الفقهاء والمتصوفة بحكم عوامله ،فمن المناضرات والتاليف و الكتب الناقدة للتيار الاخر حتى الوصول الى حياكة المؤامرات والقتل والاعدام.

انعكست العلاقة المتوترة بين الفقه والتصوف على جميع المجالات نتيجة الارهاصات والصراعات التي كان يعيشها المغرب الاسلامي مع اهمال العامة لكثير من مبادئ الدين وسلوكه القويم .

عمل التصوف على القضاء التام عل المنكرات بفضل اعلامه الذين مثلو نموذج الصلاح والتقوى ، ليقابلهم الفقهاء بالرد على ذلك ومنافستهم في تحصيل ود العامة.

ساهم الصراع الفكري في جلب الناس نحو التصوف والفقه لتحصيل العلوم والتقرب من الخالق للعبادات والطاعات.

لقد خسر المغرب في هذا الصراع مجموعة من اهم علمائه ومفكريه سواء كانو متصوفة أو فقهاء وذلك نتيجة لاختلاف الافكار ووجهات النضر ،وتغذية الصراع ممن طرف السلطة التي كانت تسعى لتحقيق اهدافها وكسب ود العامة ومن يتبعونهم لاجل الحفاض على سلطانهم.

عرفت العلاقة الفقهية الصوفية تغيرا جذريا مع منتصف القرن السابع هجري وذلك بتغير البيت الحاكم للبلاد .

أصبح التصوف والفقه مشتركان في الاهداف ،متداخلان في القيم وذلك من خلال تجندهما للوقوف في وجه المذهب الظاهري الذين كان يحمل في جعبته أفكارا غير مقبولة في الشريعة الاسلامية .

أصبح ألفقاء أكثر رغبة في الاطلاع على التصوف وممارسته لما فيه من تهذيب للنفس و تربية لها وبذلك يجمعون بين العلم العقلي والقلبي .

سعى المتصوفة اللاطلاع على علم الفقه وتحصيله لاجل اضافته للتصوف وتحقيق العبادة الكاملة التي تكون في اطار شرعي وقالب ديني بحت.

ساهمت السلطة بعد تغيرها في التقريب بين طائفة المتصوفة والفقهاء من أجل اضفاء الشرعية الدينية لحكمها وكسب ودهما الذي من خلاله تكسب العامة وتبقى بعيدة عن عدم الاستقرار أي محاولة لقلب الحكم عليها .

كان لتوافق بين الفقهاء والمتصوفة تأثير هام على الحياة في المغرب الاسلامي الذي مس جميع جوانبه ، فالجانب الفكري نال حصة الأسد من التوافق حيث ظهر نوع جديد من العلماء ، عرفو بالفقهاء الصوفية أو العكس ، والذين جمعوا بين علم الظاهر والباطن .

انتشرت المساجد وقربها الزوايا التي عملت على المساعدة في تعليم الناس أصول دينهم والمساهمة في توطيد أركان الاسلام وصون المجتمع من الانزلاقات والانحرافات.

أصبح المجتمع المغاربي يعيش استقرارا دينيا القى بضلاله على الاستقرار الاجتماعي والسياسي وذلك مرجعه الى التوافق بين الفقه والتصوف .

ساهم التقارب الفقهي الصوفي في القضاء على التفاوت الطبقي في المجتمع والتخفيف من حدة معانات المحتاجين والايتام واصلاحهم واصلاح ذات البين بين المتخاصمين .

قائمة
البيبليوغرافيا

القران الكريم .

صحيح البخاري .

صحيح الترمذي .

صحيح مسلم.

أ- المصادر:

1. ابن ابي زرع الفاسي، الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق: عبد الوهاب منور ، دار المنصور للطباعة، الرباط ،د.ط،1972م .

2. ابن الابار ابو عبد الله محمد بن عبد الله البلصاعي البلنسي ،التكملة لكتاب الصلة نشر فرنشسكو غودير ،مطبعة روحوس،مدريد،ج2،د.ط،1886م .

3. ابن الزيات النادلي ابو يعقوب يوسف ،التشوف الى رجال التصوف واخبار ابي العباس السبتي تحقيق: اودلف فور،مطبوعات افريقيا الشمالية،الرباط ،1377ه/1958م .

4. ابن العماد ابو الفلاح عبد الحي بن احمد بن امحمد العكري الحنبلي الدمشقي، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ،تحقيق :عبد القادر ارناؤوط،دار ابن كثير بيروت ،ط1 1406ه .

5. ابن تومرت المهدي ،اعز ما يطلب ،تحقيق: عبد الغني ابو حزم،مؤسسة الغني للنشر ، الرباط المغرب ،د.ط،1972م .

6. ابن جزي ، القوانين الفقهية في تلخيص المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية ، تحقيق: محمد بن امحمد مولاي ،وزارة الاوقاف الكويتية ،د.ط،2008م.

7. ابن خلدون ابو زيد عبد الرحمان، العبرو وديوان المبتدا والخبرفي ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، دار الكتاب اللبناني ،1983م .

8. ابن خلدون يحيى ،بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ،تقديم وتحقيق و تعليق: عبد الحليم حاجيات ،المكتبة الوطنية ، الجزائر ، د.ط،1980م .

9. ابن فرحون المالكي ،الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب،تحقيق: محمد احمدي ابو النور،دار التراث ، القاهرة ،ج1972،2م.

10. ابن مرزوق ابو عبد الله محمد الخطيب ،المسند الصحيح الحسن في ماثر مولانا ابي الحسن، تحقيق :ماريا خيسوس بيغيرا ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ،1381ه/1981م .

11. ابن منظور ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ،لسان العرب ،دار صادر ، بيروت، د.ط د.ت.

12. بن الاثير ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الكامل في التاريخ ،تحقيق: حيزي سعيد ،المكتبة التوفيقية،القاهرة ، مصر ، د.ط،د.ت .

13. البيدق ابو بكر علي الصنهاجي ، اخبار المهدي بن تومرت ،تقديم وتحقيق وتعليق: عبد الحميد حاجيات ،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،ط1. ، 1986م .

14. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة مذهب مالك ،تحقيق :محمد علي بيضون ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط .1 ،1988م .

15. التنبكتي احمد بابا علي، ميل الابتهاج لتطريز الديباج ومطبعة السعادة،مصر ،د.ط و 1392ه.

16. الحجوي ، الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي طبعة البلدية بفاس،د.ط ، ج.4، 1926م .

17. الدباغ ابو زيدعبد الرحمان بن محمد الانصاري ،معالم الايمان في معرفة اهل القيروان ، تحقيق: ابراهيم شيوح ، مكتبة خايجي ، مصر ، د.ط ، 1968م .

18. الدرجيني ابو العباس احمد بن سعيد ، طبقا ت المشايخ بالمغرب،تحقيق :ابراهيم محمد طلاي دون دار نشر ،ط2 ، د.ت.

19. الشافعي احمد بن براهيم بن علانة الصديقي ، شرح الحكم الغوثية لشيخ الشيوخ سيدي ابي مدين شعيب التلمساني ، تحقيق :احمد فريد المزيدي ، دار الافاق العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، د.ط ،د.ت .

20. شفاء السائل لتهذيب المسائل ، نشر الاب اغناطيوس عبدو ،المطبعة الكاثوليكية و د.ط ، د.ت.

21. الصاعد ابو القاسم ابن احمد الاندلسي ،طبقات الامم ،تحقيق :حياة العيد بعلوان ، دار الطباعة للنشروالتوزيع ،بيروت ، د.ط ،1985م .

22. الطوسي ابي نصر سراج ،اللمع ، تحقيق: عبد الحليم محمد طه و عبد الباقي سرور ، دار الكتب الحديثة ، مصر ،د.ط ، 1960م .

23. الغبريني ابو العباس احمد بن احمد ، عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائى السابعة ببجاية تحقيق: رابح بونار ،الشرطة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر وط2 و 1981م .

24. فتاوى البرزلي ، جامع مسائل الاحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام ،تحقيق: محمد الحبيب هيلة ،دار الغرب الاسلامي ،ط1،ج6، 2002م .

25. القاضي عياض ابن مرسي بن عياض السبتي ، تراجم اغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض ، تحقيق: محمد طالبي ، نشر الجامعة التونسية،د.ط ، 1986م .

26. القشيري النيسابوري ابي القاسم عبد الكريم بن هوزان ،الرسالة القشيرية في علم التصوف ،تحقيق: عبد الحليم بن شريف ،دار الشعب،القاهرة ، د.ط و 1989م .

27. الكلابذي ابو بكر محمد بن اسحاق ، التعرف لمذهب اهل التصوف،نص ارتجون اريري مكتبة الخايقي ،القاهرت ، د.ط،د.ت .

28. المالكي ابي بكر عبد الله بن احمد ،رياض النفوس في طبقات علماء القيروان في افريقية وزهادهم ونساكهم وسير من اخبارهم وفضائلهم واوصافهم ، تحقيق : بشير بكوش دار الغرب الاسلامي ، بيروت ،ط2، 1414ه/1994م.

29. المراكشي عبد الواحد بن علي التميمي ،المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، دار الكتب العلمية بيروت ،ط2 ،2005م .

30. المروزي عبد الله بن مبارك ،الزهد والرقائق ، مجلد 1،تحقيق: احمد فريد،دار العراج للنشر والتوزيع الرباط ،ط1 ، 1415ه/1995م .

31. المغيلي محمد بن عبد الكريم ،مصباح الارواح في اصول الفلاح، تحقيق:رابح بونار الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر،1968م.

32. المقدمة ،تحقيق: حجر عاصي ،منشورات مكتبة الهلال ، بيروت ،1991م.

33. المقري ابو العباس شهاب الدين احمد بن محمد القريشي التلمساني ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ،تحقيق: احسان عباس، دار صادر، بيروت ،د.ط،1988م.

34. النبهاني يوسف اسماعيل ، جامع الكرامات للاولياء ،تحقيق: ابراهيم عطوة مرطز اهل السنة ، الهند د.ط ،ج1. 2001م .

35. النويري شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب ، نهاية الارب في فنون الادب ، تحقيق: يحى الشامي ، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع ، بيروت،لبنان ، د.ط،ج5 ، د.ت.

36. الونشريسي احمد بن يحى ، المعيار المغرب وجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والاندلس والمغرب ،اشراف محمد يحى، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ط1 1401هـ/1981م .

ب- المراجع:

1. الهويدي يحي ، تاريخ فلسفة الاسلام في القارة الافريقية ، مكتبةالنهصة المصرية ، د.ط ،ج1 1965م.

2. النيفر محمد الشاذلي ، المازري الفقيه والمتكلم كتابه معلم ، المطبعة العصرية تونس ، د.ط ، 2005م.

3. النويهض عادل ، معجم اعلام الجزائر من فجر الاسلام حتى العصر الحاضر،مؤسسة نويهض الثقافية للتاليف والترجمة ،بيروت، ط2 ،1980م.

4. النبوغ المغربي في الادب العربي ،دار الكتاب البناني ،ط2 ،1961م .

5. المنون محمد ، حضارة الموحدين ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، المغرب ط1 ، 1989م .

6. المغراوي محمد ،الموحدون وازمات المجتمع ،دار جذور للنشر ،الرباط ط1 ،2006م .

7. لقبال موسى ، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تاسيسها الى منتصف القرن الخامس للهجري /11م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع و الجزائر ،1979م .

8. كنون عبد الله ، المراكز الثقافية في المغرب من 16م ال القرن 19م ، جامعة الدول العربية ، د.ط 1984م .

9. القبلي محمد ، مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط ،دا بوبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، د.ط ، 1987م .

10. القاسمي عبد المنعم ، اعلام التصوف في الجزائر (مند البدايات الى غايةة الحرب العالمية الاولى) ودار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، الجزائر ،ط1 ، 1427ه/2007م.

11. القادري ابراهيم ، تاريخ الغرب الاسلامي (قراءة جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة) ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،د.ط ،1994م.

12. فيلالي عبد العزيز ، العلاقات السياسية بين الدولة الاموية في الاندلس ودول المغرب ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر،1986م.

13. فروخ عمر ،تاريخ الادب العربي عصر المرابطين والموحدين ، دار العلم للملايين ،بيروت ، لبنان،ط2، ج5، 1985م .

14. فتحة محمد ، النوازل الفقهية والمجتع ، ابحاث في تاريخ الغرب الاسلامي القرن 6-9ه مطبعة المصارف الجديدة ، الرباط ،د.ط ، 1999م .

15. علي علام عبد الله ،الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ط ،1971م .

16. عبد الحليم محمود ، اقطاب التصوف لسفيان الثوري ، دار المعارف ، القاهرةط3 ، د.ت.

17. ظهير احسان الهي ، التصوف المنشا والمصادر ، ادارة ترجمان ، السنية ط1 1986م.

18. الصمد خالد ،مدرسة فقه الحديث بالغرب الاسلامي من النشاة الى نهاية القرن 07ه/14م جذورها ، اثارها ، مناهجها ، دار ابي الرقراق للطباعة والنشر ، الرباط ، المغرب ،ط.1، 2006م.

19. الصابوني عبد الرحمان ،محاضرات في المدخل لعلم الفقه ،مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية جامعة حلب ،د.ط ،1964م/1965م

20. السنيوي عبد الرحيم ،نهاية السول شرح منهاج الاصول ، مطبعة الصلح ، مصر ،د.ط، د.ت.

21. السلقيني ابراهيم ، محاضرات في الفقه الاسلامي، مطبعة الاحسان، دمشق د.ط،1397هـ 1398هـ .

22. زينر محمد ،المغرب في العصر الوسيط ، الدولة ، المدينة ، الاقتثاد ، مطبعة النجاح الجيدة ، الرباط ط1، 1999م .

23. الزحيلي محمد ، اصول الفقه الاسلامي، المطبعة الجديدة، دمشق، د.ط،1395 هـ/1396هـ.

24. خوجة لطف الله ، موضوع التصوف ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، مكة المكرمة ، د.ط 1432ه.

25. الحنفي عبد المنعم ، الموسوعة الصوفية (اعلام التصوف والمنكرين عليه والطرق الصوفية)، دار الرشاد ،ط1، 1412ه/1992م.

26. الحفناوي محمد ، تعريف الخلف لرجال السلف ،مطبعة بيير فونتانة الشرقية ، الجزائر ،د.ط 1906م.

27. حسن علي حسن ، الحضارة الاسلامية في المغرب والاندلس عصر المرابطين والموحدين ، مكتبة الغانجي ، مصر ،ط1 ، 1980م.

28. الجيوسي سلمى الخضراء ، الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ،ط2 ، 1999م.

29. توات الطاهر ، ابن الخميس شاعر تلمسان الاكبر ، دار الاوطان الجزائر ،ط1 ،2011م.

30. التليسي بشير رمضان ،الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الاسلامي خلال القرن الرابع الهجري والعاشر ميلادي ، دار المدار الاسلامي ، بيروت ،ط1 ،2003م.

31. البيلي محمود بركات ، الزهاد والمتصوفة في بلا المغرب والاندلس حتي ق05ه دار النهضة العربية ، القاهرة ، د.ط ، 1993م.

32. بونابي الطاهر ، التصوف في الجزائر خلا القرنين 6و7الهجريين/12و13الميلاديين ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، عين مليلة ، د.ط ، 2004م.

33. بولطيف لخضر ، فقهاء المالكية والتجربة السياسية في الغرب الاسلامي ،المعهد العالمي للفكر الاسلامي ، هرندن ،فرجينيا ، الوم ا،ط1 2009م .

34. بوعياد محمود، جوانب من الحياة في المغرب الاوسط ، الشركة الوطنية للنشر والاشهار الجزائر د.ط ، 1982م .

35. بن عجيبة عبد الله احمد ، معراج الشوق الى حقائق التصوف ،تحقيق عبد الحميد خيالي مركز التراث الثقافي المغربي ، الدار البيضاء ،د.ط ، د.ت .

36. بن عبد الله مصطفى حاجي خليفة ، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون مكتبة المثنى، بغداد ، د.ط ، ج2 ، د.ت.

37. بن عامر توفيق ، التصوف الاسلامي الى القرن السادس هجري ، المركز القومي للنشر والتوزيع تونس ، ط.1 ، 1419ه/1998م.

38. بن بيه محمد محمود عبد الله ، الاثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين ،دار ابن الحزم للنشر والتوزيع ، بيروت ، ط1، 1461ه/2000م.

39. البقالي محمد ، الدولة والولاية بالمغرب الوسيط ،علائق وتفاعلات،دار توبقال ، الدار البيضاء ، د.ط، 1997م .

40. اقزوق محمود حمدي ، مقدمة في الفلسفة الاسلامية ،دار الفكر الغربي للنشر والتوزيع القاهرة ، د.ط ، 2003م .

41. احمد موسى عز الدين ،النشاط الاقتصادي بالمغرب خلال القرن 6للهجري ، دار الشروق ، بيروت ، ط1403،1ه/1993م.

42. ابولبابة حسين ، موقف متصوفة افريقية وزهادها من الاحتلال العبيدي ،د.ط ، د.ت.

43. ابوريان محمد علي ، تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام ، دار النهضة العربية ، بيروت ،ط2 د.ت.

ج- المراجع المعربة:

1.انا ماري شميل،الابعاد الصوفية في الاسلاموتاريخ التصوف،ترجمة: محمد اسماعيل السيد، رضا حامد قطب،منشورات الحمل ،كولونيا، ألمانيا،ط2006،1م.

2.بيل الفريد،الفرق الاسلامية في شمال افريقيا من الفتح العربي الى اليوم، تحقيق: عبد الرحمان بدوي،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،ط1987،3م.

3.فليب حتي الاسلام منهج الحياة،ترجمة: عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت ط1997،2م.

4.ليفنتسكي تايدوس،المؤرخون الاباضيون وكتاب السير والروات الاباضيون الوهابيون في افريقيا الشمالية من القرن 8 ميلادي حتى القرن 12 ميلادب،ترجمة:ماهر جرار وريمة جرار،مؤسسة توالت الثقافية .د.ط،2007م.

د- المذكرات والرسائل الجامعية:

1.ملياني فاطيمة وزروقي حبيبة،الزهد والتصوف في المغرب الاوسط على العهد ا لموحدي(6 7هـ/12م-13م)، مذكرة ماستر، جامعة ابن خلدون ،تيارت،2015م-2016م.

2.فيلالي عبد العزيز ،تلمسان في العهد الزناتي (دراسة سياسية وعمرانية واجتماعية وثقافية) دكتوراه دولة ،معهد التاريخ ،جامعة الجزائر ،ج1، 1995م

3.عشي علي،المغرب الاوسط في عهد الموحدين (دراسة تحليلية للاوضاع الثقافية والفكرية)، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر ، جامعة الحاج لخضر باتنة،2011م-2012م.

4.شعيب زهرة ،وآخرون ، العلاقة بين المالكية والاشعارة والصوفية بالغرب الاسلامي القرن1هـ الى 8هـ/9م-14م، مذكرة ماستر، قسم التاريخ، جامعة ابن خلدون، تيارت 1437هـ 1438ه/2016م-2017م.

5.حشيش صالح علي ،الحركة الصوفية في بلاد الشام خلال الحروب الصليبية492هـ-690هـ/1280م-1291م،مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستار في التاريخ، الجامعة الاسلامية في غزة ،فلسطين،1496هـ/2005م.

6.جدو فاطمة الزهراء ، السلطة والمتصوفة في الاندلس عهد الماربطين والموحدين (479 635هـ/1086-1238م)، مذكرة ماجستار ،جامعة منتوري ،قسنطينة،2007-2008م.

7.بونابي الطاهر ، الحركة الصوفية في المغرب الاوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين 14-15 الميلاديين ،اطروحة دكتوراه ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر ، 1429-1430هـ/2008-2009م.

8.بن لعرج عبد الرحمان ،العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والممالك، مذكرة ماجستار ، قسم التاريخ، جامعة تلمسان،2007م-2008م.

9.الاعرجي نضار مؤيد مال الله عزيز ، الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني685هـ-706هـ/1286م-1306م دراسة سياسية حضارية ،رسالة ماجستار،جامعة الموصل،1425هـ/2004م.

ه- المجلات الدوريات:

1. بحاز إبراهيم ،صور من الإباضية في عهد الموحدين،مجلة الحياة،جمعية التراث، غرداية، العدد الثاني، 1999م.

2. البعيدي المهدي ، أهم الاحداث الفكرية بتلمسان عبر التاريخ،مجلة الاصالة،العدد26.

3. حسيسن عبد الهادي ،موقف يعقوب المنصور من الظاهرية،مجلة دار الحديث الحسينية،مطبعة المعارف الجديدة ،الرباط،العدد2، 1986م.

4. الصباغ لمياء عز الدين ،الصوفيون والتصوف حتى القرن الرابع هجري، مجلة كلية العلوم الاسلامية ،العدد(1/14)،مجلد 1434،7ه/2013م.

5. الطويل توفيق ، في رحاب التصوف الاسلامي،مجلة عالم المعرفة ،المجلس الوطني والثقافة والفنون والادب ،الكويت،العدد87، 1405ه/1985م.

6. عبد العالي بوعلام ،الدور الثقافي والديني للطرق الصوفية والزوايا في الجزائر،كجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد15، المركز الجامعي ،غرداية،الجزائر ،2011م.

فهرس
الموضوعات

فهرس المحتوى

كلمة شكر
اهداء
مقدمة.....أ

الفصل الأول: الفقه والتصوف في بلاد المغرب الإسلامي
المبحث الأول: ماهية الفقه وأنواعه في بلاد المغرب الاسلامي
المطلب الاول: تعريف الفقه 07
المطلب الثاني: تعدد المذاهب الفقهية. 10
المبحث الثاني: ماهية التصوف وظهوره في بلاد المغرب.
المطلب الأول: تعريف التصوف وأنواعه. 26
المطلب الثاني: التصوف في بلاد المغرب. 36

الفصل الثاني:الصراع الفقهي الصوفي في بلاد المغرب
المبحث الأول: عوامل وأسباب الصراع بين الفقهاء.
المطلب الأول: العامل السياسي ..... .41
المطلب الثاني: العامل الديني. 44
المطلب الثالث: العامل الإجتماعي ..... .46
المبحث الثاني: مظاهر الصراع الفقهي الصوفي.
المطلب الأول: الصراع الفكري ..... .49
المطلب الثاني: الصراع السياسي..... .53
المبحث الثالث: نتائج وإنعكاسات الصراع بين الفقهاء والمتصوفين.
المطلب الأول: النتائج السياسية. 62
المطلب الثاني: النتائج الدينية ..... .64
المطلب الثالث: النتائج الإجتماعية. 67

الفصل الثالث: التوافق الفقهي الصوفي في بلاد المغرب الإسلامي.
المبحث الأول: عوامل التوافق وأسبابه
المطلب الأول: التقارب الفكري..... 70
المطلب الثاني: الأوضاع السياسية. 71
المطلب الثالث: الأوضاع الإجتماعية والأهداف الدينية..... .74
المبحث الثاني: مظاهر وصور التقارب الفقهي الصوفي
المطلب الأول: حركة التأليف الفقهية الصوفية ..... .77
المطلب الثاني: تداخل المظاهر و الممارسات الدينية..... .79
المطلب الثالث: ظهور شخصية الفقيه الصوفي. 81
المبحث الثالث: نتائج وأثار التقارب الفقهي الصوفي.
المطلب الأول: الحياة الإجتماعية والفكرية 85
المطلب الثاني: الجانب الحضاري ..... .87
المطلب الثالث: الجانب العمراني..... 89
خاتمة 92
قائمة البيبليوغرافيا 96